

المجلد: ١٠٠
دار النشر: دار النشر
الطبعة: ١٩٩٠
العدد: ١٠٠

العرب

مجلة شهرية جامعة

تأسست في سنة ١٩٨٩م - حشد الجاهل

الجزء الأول - السنة الرابعة - رجب ١٣٨٩ - تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٩

دَارَاتُ الْعَرَبِ

- ١ -

نحاول في هذه الكلمة تحديد مواقع الدارات ، اكالا لما كتبه الاخ الاستاذ عبد الله بن عبد الرحيم عسيلات ببحثه المنشور بعد هذا المقال :

ومن أدق ما ورد عن المتقدمين في تحديد الدارة قول أبي علي الهجري :
الدارة الشبكة السهلة حفتها الجبال ، ومقدار الدارة خمسة اميال في مثلها (١) .

اما لماذا حفل الشعر القديم بذكر الدارات ؟ فذلك لأن القوم يتخذونها منزلا لهم لانصافها بكل الصفات الملائمة للنزل ، فهي لينة سهلة لبارك الابل ، ولما يرض الغنم ، ولجلوس القوم ، ثم هي مرتفعة عن بجاري السيول ، محاطة بتلال او جبال تحمي من الرياح في الغالب ، ولخصوبة أرضها ، فهي مرتبة للبهيم والغنم ، وملعب للصبي ، وهي في الوقت نفسه متسع لأكثر عدد من بيوت الحي .

وفي الكتب الجغرافية أسماء كثيرة من الدارات ولكن التصغير والتحريف دخلها كغيرها من أسماء المواضع ، ولهذا فان مما ينبغي على الباحث الاهتمام به للتحقق من صحة الاسم ، وسأني على أسماء ما عرفناه منها مع ذكر مسا نلاحظه .

(١) كتاب « أبو علي الهجري وبعثاته في تحديد المواضع » من : ٣٨

١ - دارة اجد :

ذكر هذه الدارة ياقوت نقلاً عن ابن السكيت ، وارى ان كلمة اجد تحريف (اجأ) وان هذه الدارة هي دارة بختر ، القبيلة الطائية واجأ أشهر جبل في بلاد طي كما هو معروف وبختر لهم دارة سبأتي ذكرها .

٢ - دارة الآرام :

ذكرها ياقوت واورد شاهداً عليها قول البرج بن خنيزر التميمي :
فأبرق وأرعد لي إذا اليميس خلّفت

بنا دارة الآرام ، ذات الشقائق

يخاطب الحجاج ، حينما ألزمه البعث إلى الملب لقتال الازارقة ، فهرب إلى الشام واذن فهذه الدارة تنسج بين العراق والشام ، وليست في بلاد الضباب كما ذكر ياقوت وبلاد الضباب لا تقع بين مكة والمدينة بل في قلب نجد مكتنفة ضرية . ولهم بلاد في نواحي تربة . أما الجبل المسمى بآرام ، فهو في بلاد بني سليم . وللضباب قننة سوداء ، في بلادهم تدعى ذات آرام ، ويلاحظ أن الآرام حجارة تنصب فتكون كالعلم ، ولهذا يكثر اطلاق الاسم وصفاً لأعلا .

وبما يلاحظ أيضاً وجود موضع يدعى ذات آرام ، بقرب نَمَلَى ، ورد فيه قول الشاعر :

وفي ذات آرام خَبُوءٌ كثيرة

وفي نَمَلَى - لو تعلمون الغنائم

ونَمَلَى هذه لها دارة من دارات العرب المشهورة - كما سيأتي .

٣ - دارة الاسواط

نقل ياقوت أنها بظهر الابرق بالمضجع وانها برقة بيضاء لبني نيس بن جزء ابن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، والاسواط مناقع المياه ، ولم يحدد المضجع في كتابه تحديداً واضحاً ، غير انه اكتفى بما أورد عن أبي زياد من وصف المضجع بأنه خير بلاد أبي بكر وأكبرها ، وانه يسمى المضاجع ايضاً .

وفهم من كلام مؤلف كتاب « بلاد العرب » ، بأنه أرض واسعة ، فيها جبال ورمال ومياه وأنه لبني أبي بكر خاصة ، كما يفهم من تعديده أنه يقع في عالية نجد غرب جبال عرعر شام (القومية) وشرق أودية سبيع أي في مفيض وادي الحرمة وما حوله وجنوب غرب منهل عفيف ، ويقع منهل سبعا وما حوله في المضجع ، ومن جبال بني أبي بكر هؤلاء العرايس والاخرج ، ولا يزالان معروفين والاخرج يدعى الحرج من قبيل تسهيل الهنزة .
والهجري كلام يوضح موقع المضجع ، فقد قال :

المظاة : ينثر بميدة النمر ، عذبة ، بالمضجع بين رمل البثرة وبيشة ،
والى جانبها الأرومة والكهفة قريبا ^(١)

ومن أودية المضجع خنثل على ما ذكر مؤلف كتاب « بلاد العرب » ^(٢)
وخنثل واد عظيم لا يزال معروفا جنوب غرب سبعا .

٤ - دارة الأكوار :

قال عنها باقوت أنها في ملتقى دار ربيعة بن عقيل ، ودار نهبك ، وذكر
ان الأكوار جبال ، وعن تعريفه نقل من جاء بعده كصاحب القاموس
وشارحه .

والذي ألاحظ ان كلمة (نهبك) تحريف (نهد) مع ان الذين نقلوا عن
باقوت اوردوا اللفظ كما أورده ، ولكننا لا نجد فيما بين أيدينا من كتب
النسب اسم نهبك يطلق على قبيلة ، ونلاحظ ان ربيعة بن عقيل كانت منازلهم
في الجنوب الشرقي من اطراف الحجاز المتصلة بنجد ، وانهم يجاورون بني
جشم من الغرب ، ويشاركونهم في منهل 'بريم' الواقع بقرب جبل حضن ،
وبنو نهد يسكنون في الأودية الواقعة في الجنوب الشرقي من حضن المنحدرة
من سرة عسير . وإذن فهم قريبون من بلاد بني ربيعة بن عقيل .

٥ - دارة الأسود :

وهذه الدارة تقع بقرب بلدة ضرية تبعد عنها على طريق المدينة ١٩

(١) : د ابو علي المجري : ٢٢٤

(٢) : ص ١٦٢

میل قال الهجري : وكان سعيد بن سليمان بن لوفل بن مساحق احتفر عينا على
میل من حفر بني الأدرم ، وأبحرها ، وغرس عليها نخلا كثيرا ، وازدرع ،
وبني هناك دارة تدعى بدارة الأسود ، لأنها بين جبل عظيم أسود ،
ورسمه (١) .

٦ - دارد أهوى :

ذكرها ياقوت : وقال بأنها من أرض هجر ، وأورد من الشواهد قول
الراعي :

تهافت واستبكك رسم المنازل

بدارة أهوى ، أو بسوفة حائل

وأورد أيضا : أهوى ما لبني قتيبة الباهليين . ولما تكلم على أهوى أقي بما
قال هنا من أنها بأرض هجر ، وأورد بعده عن الحفصي عالم اليامة ومؤلف
الكتاب الذي هو من مصادر ياقوت عن تحديد مواضعها أورد عنه أن أهوى
بأرض اليامة من بلاد قشير ، وأورد عن نصر أنها من المروت . والقول الأخير
هو الصواب ، وهو الذي ينطبق عليه الشاهدان للذان ذكرها ياقوت للناطقة
الجمدي والراعي ، وانظر لتحديد موقع أهوى كتاب « بلاد العرب » (٢) .

٨ - دارة ماسل :

أورد اسمها ياقوت نقلا عن ابن السكيت قائلا : ولم أظفر لها بشاهد وما
أظنها الا دارة ماسل انتهى . وهو رأي صحيح .

٩ - دارة بتيل :

لم أر لها ذكرا ولكنني أعتقد بأن هذه الدارة هي ما سماه ياقوت دارة
بتيل ، فتصحف الاسم على المتقدمين ، وانظر ما سيأتي بعد .

(١) : كتاب « أبو علي الهجري وإيجاده في تحديد المواضع » ص ٢٥٤ .

(٢) - ص : ٣٦٤ و ٣٦٦ .

١٠ - دائرة بختر :

قال ياقوت وسط جبل اجبا احد جبلي طي قرب جوة ، وساق
نسب بختر إلى طي ، وهو معروف ، وأرى أن جوا هذا الذي يعنيه هو
الواقع في جوف اجبا ، الذي ورد في شعر القائل :

واجبا وجوها فؤادها إذا الفتي كثر انخضادها
وجو هذا قرية لا تزال معروفة ذات نخل كثير .

١١ - دائرة بدوتين :

ذكر ياقوت انها لربيعة بن عقيل ، وان بدوتين مضبتان بينها ماء ،
وتقدم ذكر بلاد ربيعة بن عقيل ، عند ذكر دائرة الأكوار .

١٢ - دائرة البيضاء :

اسم البيضاء يطلق على عدة مواضع ، ودائرة البيضاء قال عنها ياقوت :
الجنوم ماء لبني الأضبط يصدر في دائرة البيضاء . وإذن البيضاء هذه بقرب
الجنوم ، وجنوم بني الأضبط هؤلاء منهل غرب بلدة تضرية لا يزال
معروفاً ، وهو غير بيضاء بني عقيل الذين تقع بلادهم في غرب نجد وجنوبه ،
 ويفصل بينهم وبين بني الأضبط أفخاذ بني كلاب العديدة .

١٣ - دائرة تيل :

ذكرها ياقوت ، وأورد تعريفاً لتيل ، وشاهداً من قول ابن مقبيل :
لَمَنْ الدَّيَارُ بِجَانِبِ الْأَحْقَارِ قَبْتِيلٌ دَمْنَجٌ ، أو بسفح جرار
والذي يظهر لي : ان تيل هو تحريف بتيل ، سقطت الباء فيها فنقل عنه
ياقوت ، ذلك :

١ - أن الشاهد الذي أورده هنا صواب قراءته : قَبْتِيلٌ دَمْنَجٌ - بفتح
الباء باعتبارها من أصل حروف الاسم ، والفاء حرف عطف لا حرف جر .

٢ - أن الوصف الذي أورده ينطبق على جبل البتيل الذي لا يزال

معروفاً ، وجملة (من وراء 'عربة) تصح بالنسبة للتكلم إذا كان في غرب الجزيرة ، بمكة وحولها ، فتنتطبق على جبل البتيل .

٣ - أن ياقوتاً نفسه أورد تعريفاً مقارباً لهذا البتيل فقال : جبل أحمر ، يناوح دَمَخاً من ورائه ، في ديار بني كلاب ، وهناك قليب يقال لها البتيلة .

٤ - أن الشاعر أضاف الاسم الى دَمَخ ، والقريب من دَمَخ هو البتيل ، ولا يزال معروفاً ، كأنه ابتتل من دَمَخ ، أي انقطع .

٥ - أننا إذا قلنا بأنه من وراء تربة بالنسبة إلينا فإنه يكون بعيداً عن جبل دَمَخ المعروف لدينا ، بُعداً شامعاً فجبل دَمَخ من جبال المِرض (عرض القومية) وتربة بعيدة عن تلك الجهات ، فضلاً عما وراءها .

١٤ - دائرة الجباب :

الجباب لبني المهعيم بن عمرو بن نعيم ، ومنازل هؤلاء تقع في شرقي القصيم ، مجاورين لإخوتهم بني أسيد ، فمن منازل بني الهجيم الباقية : حنيظل ، والموسبعة (العوشية) وكان لهم قرية مشهورة من منازل الهجاج ، تقع شرق حنيظل في جوف الرمال (النفود) تسمى السُمَيْنة .

والجباب في اللغة : المَنفَرَة - الطينة الحمراء التي تصبغ الثياب - وهكذا طبيعة كثير من القرى الواقعة في تلك الجهات .

١٥ - دائرة الجشوم :

قال ياقوت عن هذه الدائرة بأنها لبني الاضيظ بن كلاب وان الجشوم ماء لهم ، يصدر في دائرة البيضاء .

ولهذا أرى أنها هي دائرة البيضاء المتقدم ذكرها .

١٦ - دائرة جُدثى :

دائرة جُدثى ، ودائرة جُهْد : ذكرهما ياقوت وأورد الشاهد عليها واحداً من شعر الأفوه الأودي ، أورده بصيغتين :

١ - بدارات جُدْي، أو بصارات جنبل إلى حيث حَلَّتْ من كَنْيَب وعزهل

٢ - بدارات جُهْدٍ .. الخ . قائلا : كذا وجدته في شعر الأَفْوَه .

ولمدم تحقق ياقوت صحة الاسم لم يورده في موضعه من كتابه .

أما القول بأن جُدْي جبل بنجد في ديار طيء فيردّه أن بلاد بني أورد في أطراف الحجاز الجنوبية المتصلة باليمن .

١٧ - دارة جلجل :

هذه من أشهر الدارات أورد ياقوت في تحديدها :

١ - قول ابن السكيت في شرح قول امرئ القيس :

ألا رَبُّ يَوْمَ لَكَ مِنْهُنْ صَالِحٌ ولا سَيْتاً يَوْمَ بَدَارَةِ جُلْجُل

قال : دارة جلجل بالحمى . ونقل مثل ذلك عن الأصمعي وأبي عبيدة .

٢ - ويقال بضم ذي كندة .

٣ - وقال ابن دريد في كتاب « البين والبنات » : دارة جلجل بين شُعْبَى ، وبين حسلات ، وبين وادي المساء وبين البَرْدَان ، وهي [في] دار الضباب ، مما يواجه تخيل بني فزارة .

٤ - ونقل عن الأصمعي بأنها من منازل حُجْر الكندي ، بنجد .

٥ - وأورد في دارة واسط بيتاً يدل على تقارب الدارتين .

هذا ملخص ما أورد ياقوت في تحديدها ، على أن المجري ، وهو من عرف نبدأ معرفة مشاهدة وعلم ، قال عن دارة جلجل : وجلجل بمانية من دور بني الحارث بن كعب (١) ، وأرى أن الصواب مع المجري ، إذ لو كانت في الحمى لكثرت ذكرها على السنة شعرائه ، على أننا

(١) كتاب ٢ أبو علي المجري ص ٢٨٠ .

نجد قولاً للصمعي ، وهو يحدد موضع ممكة حجر الكندي بنجد بقوله :
ما بين طمية الى حمى ضرية إلى دارة جلجل من الدقيق الى بطن نخلة الشامية
فهذه العبارة إن كانت صحيحة تدل على أن دارة جلجل ليست كما حددها
ابن دريد ، ذلك التعديد الدقيق ، بين مواضع لا تزال كلها معروفة في غرب
بلدة ضرية وقد أورد ياقوت أيضاً لابن دريد قوله : انبردان ماء للضباب قرب
دارة جلجل ، والبردان هذا يقع بقرب وادي المياه ، الواقع غرب ضرية ،
والذي هو جزء من وادي الجريب .

١٨ - دارة الجُمْد

الجماد : الحجارة واحدها 'جمد' ، قال عمارة :
ألا يا ديار الحي من دارة الجُمْد سلمت على ما كان من قدم العهد
وقد ذكر طفيل القنوي موضعاً يسكون الميم :
وبالجُمْد إن كان ابن جُندع قد قوى يُسنَى عليه بالصفائح والحجب
ولا أعرف شيئاً عن تحديد هذه الدارة .

١٩ - دارة جهد

انظر دارة جدتي

٢٠ - دارة جودات

أوردها ياقوت ، وأورد شاهدها من قول الجُميح ، وهو منقذ بن الطتاج
الأسدي :

إذا سَلَمْتُ بِجوداتِ ودارتها وحالِ دُونِي من حَوَاءِ عِشْرَيْنِ
عَرَفْتُمْ أَنِّي حَقِّي غيرُ مُنْتَرَعٍ وَأَن سَلَمْتُكُمْ سَلَمَ لَهَا حِينَ
والغريب ان ياقوتاً لم يذكر (جودات) في موضعها من كتابه .

أما الزبيدي - والله يغفر لنا وله - فإنه في تحديد المواضع لا يكاد يبصر

موقع قدمه ، ومزينة كتابه عصورة في النقل والجمع ، فليته ذكر المصدر ،
على أن مما يقوي قوله - وهو ضعيف - ان الجميع أسدي ، وبلاد بني أسد
بجاورة لبلاد طيء ، الا ان جودات وحواء لا نرى لها ذكراً فيها بين أبدينا
من الكتب في المواضع التي تضاف الى بني أسد .

٢١ - دارة الخُرج

أرى صواب الاسم هنا بضم الحاء - لا كما ذكر ياقوت - ما دام شاهده
قول الخبل السدي التميمي :

‘مَحْبَسَةٌ فِي دَارَةِ الْخُرْجِ لَمْ تَذُقْ بِلَالاً ، وَلَمْ يَسْمَعْ لَهَا بِنْتَجِيل

والخُرج هنا كما نقل ياقوت عن الحازمي : وادٍ في ديار بني تميم لبني كعب
ابن العنبر ، بأسفل الصمان . وجاء في شرح ديوان الحطيئة : قال عمار
الخُرج عن يسار القبلة من الليثابة لهابة كعب بن العنبر ، بأسفل الصمان أما
بلاد الخُرج - بفتح الحاء - فالليثاء وعلف الدواب فيها كثير جدا .

٢٢ - دارة الخلاء

وهو الحَرَن في الناقة كذا قال ياقوت ولم يزد ، ولهذا يصح القول بأن
الاسم لا يزال بحاجة إلى تصحيح ، فضلاً عن معرفة ‘سَمَاء .

٢٣ - دارة الخنازير

٢٤ - دارة خَنْزَر

٢٥ - دارة الخَنْزَرَتَيْنِ

٢٦ - دارة الخَنْزَرَيْنِ

٢٧ - دارة الخَنْزِيرَتَيْنِ

- دارة الخنازير : لا يبعد أن تكون التي بعدها إلا أن المُجْتَبَر هكذا
جاء بها :

ويوماً بدارات الخنازير لم يثقل من النطفانيين إلا المشرد
- ولكن الشعراء كثير ما يزينون في الاسم او ينقصون لوزن الشعر
وفي دارة خنزير قال الجهمدي :

ألم خيال من أميمة موهنا طروقاً واصحابي بدارة خنزير
وقال السكري : خنزير : هضبة في ديار بني كلاب ، قال عبدالله بن نرالة :
أيمعني التقوى اذا ما أردتها سديف يخني خنزير نجباب ؟
الجباب شيء يصنع من الجلد .
وأورد ياقوت للحطيمه :

إن الرزية لا أبالك هالك بين السماخ وبين دارة خنزير
وعن دارة الخنزيرين : قال ياقوت : من مياه حمل بن الضباب في الأرطاة ،
ويقال دارة الخنزيرتين وقال ابن دريد : الخنزورين ، وربما قالوا في الشعر
دارة الخنزير ، وهي لبني حمل من من الضباب ، والأرطاة تصدر فيها وهي
مادة للضباب .

وأقول ان هذه الاسماء الخمسة تنطبق على دارة واحدة تسمى الآن دارة
خنزير ، ودارة الجنيج ، والدارة بدون اضافة ، وتقع في طرف نفود السرة
حيث يحدها شرقاً وشمالاً ، ويحدها من الشمال الغربي نفود الصخة ، ويقع
منهل الصخة بينها وبين هذا النفود ، ويقع في طرفها الجنوبي جبل خنزير ،
ومن هنا كانت التسمية ، وفي طرفها الشمالي جبل الجنيج (كذا ورد مرسوماً
على المصور الجغرافي) والدارة أيضاً مرسومة وتقع على الدرجة ٢٣/١٠
و ٤٣/٥٠ ، وهي أشهر الدارات في بلاد نجد .

للبحث صلة

محمد بن عبد الله

دَارَاتُ الْعَرَبِ فِي تَرَاتِيحِهِمْ الْجُغْرَافِيَّاتِ اللَّغَوِيَّةِ

- ١ -

١ - تمهيد :

إذا علمنا أن الجزيرة العربية كانت المستراد الأول للغة العربية الأصيلة ، والمنطلق النبّير لدعوة الرسول ﷺ ، والنبع الثمر للثقافة العربية والاسلامية ، فإن الواجب يحتم علينا أن نضع بدراسة هذه الجزيرة بمختلف جوانبها ، وأن نستجلي دقائق ما غمض علينا من معالمها وقد درسها الأولون من قبل دراسة وافية من الوجهة التاريخية والأدبية والجغرافية ، وتركوا لنا في ذلك مصنفات قيمة ، فكان من حقنا القيام بإحياء ما درسوه وعرضه وتحليله ، ليتم لنا بذلك استكناه حلقات لا تزال مفقودة من تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية ، وإذا لم نقم نحن بهذا العبء فمن يقوم به إذن ؟ هل ننتظر من المستشرقين البعيدين عن أرضنا وتاريخنا أن يحدثونا عن جزيرتنا ونحن ألصق بها وأولى بمعرفتها ؟

على أن ثمة جانباً من جوانب جغرافية هذه الجزيرة تتوجب علينا معرفته والاعلام به حيث يفتقر اليه الدارس لأدب الجزيرة وتاريخها وجغرافيتها ذلك هو الاعلام المكانية والموضعية التي ترد في أشعار العرب وأخبارهم ، فقد زخر بها الشعر الجاهلي والاسلامي وبعض الشعر الاموي ، ولعل ذلك راجع الى ما تقتضيه الحياة العربية الصحراوية التي لا تعرف الى الاستقرار سبيلا ، فقد كان العرب يظعنون متنقلين من موضع الى آخر لا يضعون عصا الترحال الا حيث يستقر بهم المقام حيناً من الزمن من موضع معشوشب ثراً الماء فاذا ما أحسوا بالقحط والجفاف شدوا رحالهم ، واستقلوا ابلهم ميممين شطر موضع آخر يحدون فيه بغيثهم .

وهكذا كثرت الأماكن والمواضع التي كانوا يحلون بها ، وكثيراً ما كانوا يميزونها بأسماء تعرف بها . كسقط اللثوي ، والدخول وحومل ، وتوضيح والمقرة ، وهي من منازل بني كلاب ، وكالدراج ، والمثلث موضعان بالمالية وغير ذلك من اسماء المواضع والبقاع التي يتردد ذكرها في أشعارهم ،

والتي ليس لنا غناء عن معرفتها إذا أردنا تفهيم الشعر الجاهلي على وجه الخصوص إذ لا تكاد تخلو من أسماء هذه المواضع والبقاع قصيدة من قصائده ومن ذا الذي يستغني من أولى البصائر عن معرفة الأماكن وتصحيحها ، وضبط أصقاعها وتنقيحها ، والناس في الافتقار إلى علمها سواسية ، وسر دورانها على الألسن والمحافل علانية ^(١) وليس من الصعب أن نصل إلى معرفة هذه المواضع والأماكن بعد أن قام بعض اللغويين العرب منذ القرن الثاني بمجموعها في كتب مؤلفات ذات اختصاصات مختلفة ، منها ما يختص بمسماة العرب ومناهلهم ، ومنها ما يختص بمنازل العرب وقبائلها ، ومنها ما يختص بالجزبال والحرار والأودية والدارات ، ومنها ما يتحدث عن بلاد العرب بصفة عامة ، وقد كانت هذه المؤلفات والكتب مصدراً أساسياً لمعجمين عظيمين ؛ هما « معجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع » للبكري ، و « معجم البلدان » لياقوت الحموي ، فقد استوعب هذان العلّمان جُل ما وقع تحت أيديهما من نقائس تلك الكتب والرسائل ، فضلاً بذلك أكبر عدد ممكن من أسماء الأماكن والبقاع الواردة في الشعر العربي والحديث النبوي وغيرها ، ولم يقتصر على ذلك بل تطرقا إلى المدن الكبيرة والبلدان والعواصم .

ولقد كان من بين الأماكن التي وطنتها أقدام العرب ووردت في شعرهم مواضع تتميز بوطاء أرضها واتساعها ، واستدارة رمالها واحاطة الجبال بها أطلقت عليها العرب اسم الدارات فيحق لها من الاهتمام بها والقيام بمجموعها ما لغيرها من المواضع والبقاع ، فأفرد لها بعض اللغويين كتباً خاصة بها جمعوا فيها ما أمكنهم جمعه من اسمائها مستشعدين بما ورد فيها من الشعر كما أفرد لها كل من البكري والحموي في كتابيهما صفحات عديدة تحدثا فيها عنها ، ونحن هنا نحاول تتبع هذه الدارات في تراث العرب الجغرافي اللغوي لتبين تعريفها وعددها ، وما أهمية دراستها ، ومن أفرد لها بالتأليف أو تحدث عنها ، ونريد بقولنا من تراث العرب الجغرافي اللغوي ذلك الاتجاه اللغوي للتأليف في المواضع والبلدان ، والذي أخذ في الظهور منذ القرن الثاني الهجري ، وقام به بعض

(١) مقدمة معجم البلدان (١ / ٨) .

اللغويين العرب ثم اخذ يتدرج إلى أن وصل إلى القمة عند البكري في القرن الخامس وعند ياقوت الحموي في القرن السابع بكتابتيهما المروفين وقبل أن نشرع في الحديث عن الدارات يحسن بنا أن نذكر شيئاً عن أهمية دراستها ، فكأنني بسائل يسأل : ما هي أهمية هذه الدارات وقيمتها حتى ندرسها ونلم بمعرفتها ؟ ولعل الإجابة واضحة . فما لا ريب فيه أن الدارس للأدب الجاهلي بصفة خاصة يواجه الكثير من أسماء الأماكن والبقاع التي يحفل بها الشعر الجاهلي سواء أكانت جبلاً أم حِراً أم مناهل ومياهاً أم بلاداً ومدناً أم غير ذلك ، فلا بد لكي يفهم هذا الشعر من الامام بمعرفة ما يرد فيه من اعلام المواضع ذلك لأنها تمثل البيئة الجاهلية ، والشعر دعامة للأدب وثيق الصلة ببيئته ، عنها ينبع ومنها ينبثق .

ولا جرم أن الدارات تشكل جزءاً من البيئة العربية الجاهلية جرت للعربي فيها أحداث وذكريات عبر عنها في أبيات من الشعر ، وانطلاقاً من هذا المفهوم نرى أن أهمية دراسة الدارات ترجع الى ثلاث قيم : -

١ - القيمة الأدبية :

عرفنا فيما سبق أن الشعر الجاهلي حافل بالكثير من أسماء المواضع والبقاع ، وأن هذه المواضع والبقاع تمثل البيئة العربية التي انبثق عنها ذلك الشعر الجاهلي الذي يتوقف فهمه الى حد كبير على معرفة ما اتصل به من الأعلام الموضعية والمكانية ، وإذا عرفنا هذا يسهل القول : بأن القيمة الأدبية تأتي من حيث أنها تشكل جزءاً من البيئة العربية التي لا يمكن أن نفهم ما انبثق عنها من شعر قبل أن ندرسها ونتعرف عليها ، وقد كان للدارات نصيب لا بأس به من ذلك الشعر .

٢ - القيمة الجغرافية :

وتتضح القيمة الجغرافية للدارات اذا علمنا انها كانت تشغل أجزاء متفرقة من بلاد العرب حلوا في رحابها وأقاموا فيها ، فكان لهم منها ما هو ماء للضباب وبني جعفر ، وما هو جبل في ديار بني أسد ، ومنها ما هو من منازل

مدان باليمن ، ومنها ما فيه تخيل لبني مرة بن عوف ، فلا غناء اذن لدارس الجزيرة العربية في غابر عصورها عن الامام بمعرفة هذه الدارات لتكوين دراساته شاملة ودقيقة .

٣ - القيمة التاريخية :

أما القيمة التاريخية للدارات فلأن منها ما كان مسرحاً لأحداث تاريخية جرت لبعض العرب ، كما هو الحال في دارة مأسل التي كانت ميداناً لوقائع يوم من أيام العرب ، بين بني ضبة وبني كلاب يدعى بيوم مأسل ، وقد أشار الى أحداث هذا اليوم البكري في معجمه (١) عند حديثه عن دارة مأسل ، وابن عبد ربه الاندلسي في « العقد الفريد » (٢) .

والى جانب هذه الحادثة نجد حادثة أخرى ومن نوع آخر جرت على أرض دارة 'جُلجُل' ، تلك هي قصة الشاعر الجاهلي امرئ القيس مع معشوقته ابنة عمه عنيزة بنت شرحبيل وبعض نساء الحبي ، وقد أشار اليها في معلقته بقوله :

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة 'جُلجُل'

ويوم عقرت للعذارى مطيقتي فيا عجباً من كورها المتجمل

فطل العذارى يرتعن بلحمها وشحم كهذاب الدّمقس المفضل

ويوم دخلت الحدر خدر عنيزة فقالت : لك الوليات إنك مرجلي

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فقلت لها : سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جنائك المثل

على ان هذه القصة قد رويت منشورة في بعض كتب الأدب (٣) بصورة

أخرى زاد فيها الرواة زيادة لا نجدها في معلقة امرئ القيس ، مما يحملنا

نشكل في صحة ما زادوا فيها ، ومن قبل شك الدكتور بدوي طبانة (٤) في

صحة القصة المروية بكاملها ، غير اننا لا نظمئن الى المبررات التي اعتمد اليها

في تأكيد رأيه اذ لم تكن دقيقة ولا شافية بحيث تكفي لاثبات عدم صحة

(١) انظر معجم ما استعجم (٢/٥٣٧)

(٢) (٣/٣٣٠)

(٣) انظر الاغانى (٢٧ / ١٩) وشرح المعلقات للزوزني ص : ٥

(٤) انظر كتابه «معلقات العرب» ص : ٨٥

القصة ، وكيف يسوغ له ان يطلق عليها حكما عاما بعدم صحتها كلفة متناسيا ما ورد منها في معلقة امرئ القيس؟! فمقتضى حكمه هذا ان الشك يتطرق ايضا لما جاء من القصة في المعلقة نفسها ما دام ان القصة بكاملها ليست ثابتة وليس هذا صحيحا بل كان من حقه ليكون حكمه دقيقا أن يتوجه بالشك الى ما فيها من زيادة لم ترد في المعلقة ، وقد اعتبر بعض الباحثين ان قصة دارة جلجل كانت سببا في نظم امرئ القيس لمعلقته ، وليس لهذا الاعتبار ما يؤيده مما جعل الدكتور بدوي طبانة ^(١) يرفض ان تكون هذه القصة سببا لنظم المعلقة حيث يرى ان القصة لا تشغل سوى تسعة أبيات من ستة وثمانين بيتا في رواية صاحب « جهرة اشعار العرب » ، وستة أبيات من واحد وثمانين بيتا في رواية الزوزني ، فلو كانت هذه القصة هي الغرض الرئيسي من نظمها لشغلت معالجته اكثر ابياتها .

وعلى أي حال فان القدر الثابت الذي لا يتطرق اليه الشك من قصة دارة جلجل هو ما أشار اليه امرؤ القيس في معلقته ، واذا انتهينا الى هذا الحد أدركنا ان لبعض الدارات قيمة تاريخية فلا أحسب ان الدارس لتاريخ أيام العرب يغفل مثل حادثة دارة مأسل أو ان الدارس لحياة امرئ القيس وشعره يغفل حادثة دارة جلجل لماهاتين الحادثتين من صلة وثيقة بإيام العرب وأدبها . وهكذا تتطافر هذه القيم الثلاث مجتمعة فتكسب الدارات أهمية لدراستها لتتم لنا ملامح صورة كاملة لأدب بلاد العرب وتاريخها وجغرافيتها في عصورها الأولى ، وعلى العموم فان الاعلام الموضعية والمكانية التي ترد كثيرا في أشعار الجاهليين بصفه خاصة ، يتوقف على معرفتها فهم الكثير من جوانب بلاد العرب في أقدم عصورها ، وقد أكد مدى هذه الأهمية المستشرق الروسي (كراتشكوفسكي) في كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي » بقوله : أثبتت الأبحاث ان المادة المكانية للشعر الجاهلي يمكن أن تسوق الى نتائج طيبة لو اخضعت لدراسة دقيقة ، ويذكر (فستنفلد) وهو من الملمين بجغرافية بلاد العرب ذلك في كتابه « البحرين واليامة » : (ان وجود الاعلام الجغرافية عند الشعراء تمثل بالنسبة لأبحاثنا مادة لا تقدر بثمن) .

(١) نفس المصدر السابق ص ٨٤ - ٨٥

٢ - تعريف الدارات وبيان عددها :

الدارات جمع دارة ، وقد ورد للدارة تعريفات كثيرة في كتب اللغة ومعاجم البلدان ، نعرض بعضها محاولين ان نوازن بينها ، نستخلص منها تعريفاً نستقر عليه ، جاء عن الأصمعي من مقدمة كتاب الدارات الذي ينسب اليه : (ان الدارة ما اتسع من الأرض وأحاطت به الجبال ، غلظ أو سهل يقال دار ودارة وأدور ودارات ^(١)) وجاء في « معجم البلدان » لياقوت : الدارة في أصل الكلام كل جوبة بين جبال في حزن كان ذلك أو في سهل قال أبو منصور حكاية عن الأصمعي : الدارة رمل مستدير في وسط فجوة وهي الدورة ، وتجمع الدارة دارات ^(٢) ، أما البكري فينقل لنا في « معجم ما استعجم ^(٣) » تعريفاً للأصمعي عن طريق تلميذه أبي حاتم فيقول : قال أبو حاتم عن الأصمعي الدارة جُوبَةٌ تحفها الجبال والجمع دارات . ثم ينتقل الى تعرف آخر للأصمعي نفسه وهو قوله : الدارة رمل مستدير قدر ميلين تحفه الجبال . وقال جعفر بن سليمان : إذا رأيت دارات الحِمي ذكرت الجنة ، رمال كافورية .

وبما سبق نلاحظ أن النصوص الواردة في تعريف الدارة متقاربة الدلالة وان اختلفت العبارات ، كما نلاحظ أن معظمها محكي عن الأصمعي ، فبينما نجد ياقوتاً ينقل لنا تعريف الأصمعي عن طريق أبي منصور ، وهو الأزهري بأن الدارة رمل مستدير في وسطه فجوة ؛ نرى البكري يذكر تعريفاً آخر بطريق أبي حاتم بأن الدارة رمل مستدير قدر ميلين ، فلم يزد البكري بذلك على ما نقل ياقوت عن الأصمعي ، إلا أن الرمل قدر ميلين ، وأنه تحفة الجبال ، تحفه الجبال على ان ياقوتاً قد ذكر في مستهل كلامه عن الدارات تعريفاً قريباً مما جاء في كتاب الدارات المنسوب للأصمعي وما نقله البكري في معجمه عن الأصمعي ونستطيع الآن ان نستخلص تعريفاً للدارات تستقر عليه ، فالدارات إذن جمع دارة ، والدارة أرض واسعة على شكل جوبة ذات رمال ، مستديرة تحيط بها الجبال في حزن كان ذلك أو سهل . (للبحث صلة)

الرياض - عبدالله عبد الرحيم عسيلان

(١) الدارات . (٣) (٢/٥٣٣) .

(٢) (٢/٤٢٤) .

(١) الدارات .

الطائف

[فصل من كتاب : « الطائف » جغرافيته - تاريخه - انساب قبائله]

الطائف مدينة جاهلية قديمة ، تنسب الى وج بن عبد الحلي من العماليق ،
وسميت باسمه (وج) ونسب اليها واديها فقيل : وادي وج ، إلى أن بنت
ثقيف حولها سوراً يمنعا من غارات المغيرين يطوف بها ، ومن ذلك الحين سميت
الطائف . فقال أبو طالب :

منعنا ارضنا من كل حي كما امتنعت بطائفها ثقيف
أثام معشر كي يسلبوم فحالت دون ذلكم السيوف

كانت في العصر الجاهلي قريتان فقط ، احدهما تدعى طائف ثقيف وهو
مما يلي الطائف ، والأخرى على الجانب الآخر ناحية الوهظ ، والوادي يمر بين
القريتين . وبالرغم من جودة محاصيل الطائف الزراعية وجودة فاكهتها وكثرة
أغنائها وتفرق أهلها في عمل الدباغ وصناعة المنجنيق وتعاطيتهم كل أسباب
التجارة ، إلا ان الطائف اذ ذاك كان على حالة سيئة : بيوتها لاطئة خرجة ،
وبقايا مياه الوادي تجري عليه مياه المدابغ التي يدبغ فيها الاديم تصرع
الطيور رائحتها إذا مرت بها .

قال ياقوت (١) : وهي طيبة الهواء شمالية ربما جدد فيها الماء في الشتاء ،
وفواكه اهل مكة منها .

والجبل الذي هي عليه يقال له : غزوان ، وكان معاوية يقول : اغبط
الناس عيشا عبدي أو قال مولاي سعد . وكان يلي أمواله بالحجاز ويترع

(١) معجم البلدان ج ٤ : ٩ - ١٢ .

جدة ، ويتقيظ الطائف ويشتو بمكة . كذلك وصف محمد بن عبد الله النميري زينب بنت يوسف أخت الحجاج بالنعمة والرفاهية قال :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

ولما تشرف اهل الاسلام انضموا الى الوية المجاهدين والفاحين ، وبقى الطائف راكداً في عمرانه وتطوره اللهم الا قبائل من قريش وثقيف كانت في مزارعها تحرث وتعمر وتصدر بعض الفاكة الى مكة ، ويعتقد كثير من اهل العلم بالطائف الذين أدر كناهم أن موقع الطائف القديم ومكان حصنه الذي بنته ثقيف وحاصرهم النبي (ص) فيه ، هو من الناحية الجنوبية عن جامع ابن العباس بينه وبين الجامع مسيل وادي وج ، أي أعلى أرض أم نوبي بساتين حوايا وارض المشايخ المسماة (زعيدة) بين شهار وعودة ، وهذا من قبيل الترجيح بالظن ، وربما كانت حجتهم هو ما جاء في تاريخ القاري ^(١) عند الكلام على مجيئه عليه السلام الى الطائف المرة الثانية بعد الفتح في شوال سنة ٨ هـ ، حين خرج من حنين فسلك على نخلة اليانية ثم على قرن ثم بحرة الرغاء من ليثة ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه ، ثم من ليثة على نخب ، حتى مرّ في طريق فسأل عن اسمها ؟ ف قيل : (الضيقة) فقال : بل هي اليسرى ، ثم خرج منها حتى نزل تحت سدره يقال لها الصادرة ، ثم مضى حتى انتهى إلى قرب حصن الطائف ، ووقف به ، وأمر بشهر الأسلحة ، وسمي ذلك الموقع شهراً لا شهر الأسلحة ، وشرب من بثره (الخ .

والذي اعتقده وأرجحه أن الطائف القديم يشمل جميع هذا الطائف الحديث ، وكان لثقيف ومن حالفهم من قريش وغيرهم كان لهم به مزارع متفرقة على جانبي الوادي هنا وهناك ، وهذا ما لا خلاف فيه ، أما مكان

- (١) راجع ترجمته والكلام على تاريخه في مجلة العرب ج ٢ السنة ١١١ - ١١٢

حصنه الذي بنته ثقيف وحاصره الرسول ﷺ فيه ، وقرية سكتانم حين الحصار ، فهو في نظري يشمل : هضبة باب الربيع - جبل ابن منديل - هضبة القلعة - وبعض ما كان يسمى قديماً بقرية الهضبة ، وبها اليوم مسجد الهادي وما يحاوره ، هذا هو في نظري أهم أجزاء هذه القرية والحصن وحصار النبي ﷺ كان من الناحية الشمالية ثم ارتفع إلى موضع مسجده اليوم أي من الناحية الشرقية . وذلك للأمور الآتية :

أولاً : ان ثقيفاً قد بنت حصنها لتأمين غارات المغيرين وهجمات المعتدين ، ولتدافع عن نفسها وتحتمي به ، وما كانت لتختار إلا موقعاً مرتفعاً مشرفاً على ما حوله ، لتتمكن من صد أي غارة أو هجوم عليها ، ومنطقة باب الربيع شرقي محلة السلامة ، هو الموقع الذي تتوفر فيه هذه الخصائص ولا بد أنهم حفروا بداخل الحصن بشراً في سفح الجبل أو على الأراضي القريبة تقدم بالماء وقت الحاجة .

ثانياً : ويؤيد ذلك ما جاء في كتب السيرة ^(١) أن النبي (ص) كان نازلاً حين حصار الطائف بوادي العقيق ولو كان الحصن على أرض أم نوبي وحوايا وقرية المشايخ وما جاورها ، لما وصلت سهام النبل من العقيق إلى الحصن ومن الحصن إلى العقيق ، ويحتمل أن يكون الحصن شمال القرية أي ان الحصن على جبل القلعة والقرية على جبل ابن منديل لأنه لما أصيب ثامن من المسلمين بجراح وقتل بعضهم ، ارتفع إلى موضع مسجده الذي بالطائف اليوم ، والحصن أكثر بعداً عن الجامع من القرية وهذا نص ما جاء في كتاب السيرة : (حق إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من الصحابة تحت دبابه ثم زحفوا إلى جدار الطائف ليخترقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد بحماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا فيهم رجالاً فأمر رسول الله (ص) بقطع أعنان ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون ، فتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفاً أن أمنونا حتى نكلمكم ،

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ : ١٢٨ ، ١١٩ .

فأمروهما فعدوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن إليها وهما يخافان عليهن السباء فأبين ، فقال لهما ابن الأسود بن مسعود : ألا أدلتكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله (ص) بينه وبين الطائف نازلاً بواد يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاءً وأشد مؤونة ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود ، وإن محمداً إن قطعته لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرحم ، فإن بيننا وبينه ما لا يحجل ، فزعموا أن رسول الله (ص) تركه لهم .

فأنت ترى في هذا القول أن الرسول (ص) كان يحاصر ثقيفا وهو بالعقيق أو قرب العقيق ، ولا شك أن بينه وبين الحصن نحواً من مسافة رمي النبل ، وربما كان محل مزارع بني الأسود هي في محل مزارع العقيق الآن .

ثالثاً : وبما يؤيد أن موقع حصن ثقيف وقريتهم هو ما ذكرنا ما قاله الهمداني ^(١) (وفي قبلة الطائف حائط أم المقتدر الذي يدعى سلامة) ومعروف أن محلة السلامة التي سميت باسم الحائط تقع في قبلة باب الريع تماماً .

رابعاً : وربما تطورت هذه القرية وزيد فيها بعد الاسلام الا أن أصلها على رأس الجبل الذي ذكرنا ، فهذا ناصر خسرو ^(٢) يقول لنا في القرن الخامس الهجري (... بلغنا الطائف يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٤٢ هـ ، والطائف ناحية على رأس جبل وقصبة الطائف مدينة صغيرة بها حصن محكم ، وسوق وجامع صغيران ، وبها ماء جار ، وأشجار رمان وتين كثيرة ، ويجوارها قبر عبدالله بن عباس ، فقد بنى خلفاء بغداد هناك مسجداً كبيراً يقع القبر في زاويته ، على يمين المحراب والمنبر ، وبنى الناس هناك بيوتاً يسكنونها) فإذا تأملت قوله : إن الطائف ناحية على رأس جبل به سوق

(١) صفة جزيرة العرب ص : ١٢١ .

(٢) رحلة ناصر خسرو ترجمة وتعليق يحيى الخشاب . ولد ناصر خسرو في قباديان سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م وثقف ثقافة واسعة والتحق بخدمة السلطانين الغزنويين محمود ثم ابنه مسعود .

وجامع صغيران جوار قبر عبدالله بن عباس لم يخالجا شك أن موقع الطائف القديم ومكان حصنه في الموضع الذي ذكرنا .

خامساً : أما ما جاء في تاريخ القارىء أن شهراً سمي بشهار لأنه عليه السلام أمر بشهر الأسلحة فيه ، وأنه شرب من بثره فهذا لم أر أحداً ذكره من المؤرخين غير القارىء وهو متأخر .

نعم ان القول بان الطائف القديم بساتين أم نوبي وما جاورها يتناقله الناس ولعل تناقلهم له من تاريخ القارىء .

وفي العصر الاموي كان الطائف في كثير من الاحيان مرتبطا بولاية مكة وكان الوالي على مكة من قبل الخليفة هو الوالي على الطائف وطراً على مزارعه تحسينات عمرانية زادت في محصول انتاجه ، وبالرغم من نزوح كثير من السكان في الفتح الاسلامي ولاسيما بعد انتقال مركز الخلافة من الحجاز ، فقد اقيم في هذا العصر بعض السدود وقدماسر الاسلاميون^(١) على نهج المهندسين الجاهليين في بناء بعض السدود وهي قليلة جدا بالقياس الى السدود التي بناها العرب قبل الاسلام ومن جملة السدود الاسلامية :

١ - سد اقيم في موضع يبعد عن الطائف زهاء ستة أميال يقال له (سد الميساد) كتب عليه بالخط الكوفي المحفور على الحجر : (هذا سد عبدالله بن معاوية امير المؤمنين بناه عبدالله ابراهيم) . وكان ذلك في سنة (٥٨) للهجرة وقد اقيم بالحجارة وحدها فلم يضع مهندساه ، عبدالله ابراهيم ، مادة ما من مواد البناء مثل الملاط أو الطين وما شابه ذلك بين الحجارة لتثبيتها وضم بعضها الى بعض حتى تتماسك فتكون كأنها قطعة واحدة . وهي طريقة معروفة في اليمن واستعملها المهندسون الجاهليون كما يظهر ذلك من فحص الخرائب العتيقة الباقية من الابنية والسدود الجاهلية ولا يزال هذا السد في حالة ممتازة يتحدث عن نفسه وعن عبقرية المهندس الذي أقامه في ذلك الزمن

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ : ٣٨٤ .

وقد شاهد (نويتشل) الذي كلفته الحكومة العربية السعودية دراسة السدود القديمة وأماكن المياه ، كما شاهد غيره هذا السد وجملة سدود جاهلية أخرى ووصفوها فذكروا في تقاريرهم عن مشاريع المستقبل في الاستفادة من بعض تلك السدود بعد إجراء بعض الإصلاحات والقرميات فيها ، وأشاد بمقدرة من شيدوها وأقامها وبقابلياته الهندسية ، ونبوغه الفني في إقامة تلك السدود بالرغم من ضعف القدرة الفنية وبدائية الأساليب التي استعملت في ذلك الزمن ^(١) .

وفي هذا العصر كانت قرى الحكرة والعرج والوهط وجفن ونخب ولقيم وغيرها آهلة بسكانها ، مكتفية بمحصولها الضخم من الحبوب والفواكه والسمن والعسل ، لاسيا قرية الوهط التي اشتهرت بكثرة اعنابها التي فاقت حد الوصف وفي العصر العباسي كثرت سكان الطائف عما كان عليه وحصل بالتالي تطور وتقدم في العمران وحصلت عمارة المسجد العباسي واول ما بنى هذا المسجد في أيام الناصر لدين الله العباسي كما في تاريخ المرجاني والتقي الفاسي ^(٢) الا ان محاصيله الزراعية أخذت تضعف وتقل حتى ان قرية الوهط التي كانت تكون الطائف ومكة بالفاكهة ، وبها بساتين لرؤساء مكة والطائف غنية بالكروم ، تدهورت حتى لم يبق منها من أشجارها في القرن السابع للهجرة الا شجرة توت ^(٣) .

وفي القرن السادس الهجري عمرت قرية بوادي وج دعيت بقرية « وج » ذكرها صاحب القاموس ، وربما كانت هذه القرية قديمة جدا ، ثم دمرت بعد عمارتها الاولى ثم جددت ^(٤) وتشمل هذه القرية مزارع وبساتين المثناة الشهيرة الناصرة وبساتين السلم وام نوبي وأبو زبيدة وما حولها .

(١) نويتشل : المملكة العربية السعودية ص ٥٠

(٢) عقود اللطائف للفاكهي - خ -

(٣) ابن الجاور ١ : ٢١ وما بعدها

(٤) اهداء اللطائف - خ -

وفي حدود القرن التاسع الهجري ازدهرت قرية السلامة وكثر سكانها
واقامت بها العمارات البارعة في نسق جميل وكان لكل دار بستان او اكثر
وبها عين ماء جارية ، قال العجيمي ^(١) : (لا ادري متى كان ابتداء عمارتها
وكان ينزل بها أعيان مكة وفضلأوها بل غالب أهلها ثم خربت في حدود
١٠٨٠ هـ وتحول أهلها ولم يبق منهم الا القليل ، وانتقل أكثر سكانها الى قرية
الهضبة وذلك بسبب الحروب والغزو السائد في ذلك ، قال العجيمي : وكثر
عمران قرية الهضبة منذ خربت السلامة وابتداء عمارتها بعد الالف .

قال الأستاذ الشاعر البهانة الشيخ أحمد الغزاوي ^(٢) : (وقد ظفرت
بنص ثاخي يستخلص منه أنها كانت معمورة قبل القرن السابع أو
الثامن الهجريين : وذلك أن ابن فهد أرّخ لقاضي الطائف عبد الله بن محمد
ابن عيسى بن محمد بن عبد الله الطائفي فقال : أجاز له في سنة ٧٩٤ هـ
فما بعدها التنوخي والبرهان علي بن فرحون وابن صديق وسليان السقا
وعبد القادر الحجار ومحمد بن علي بن محمد البالي ومريم الأذرية وجماعة ..
مات في رجب سنة ٨٤٦ هـ سنة ست وأربعين وثمانمائة بالسلامة من قرى
الطائف .

وبهذا نعلم أن السلامة أقدم وجوداً من هذا المترجم بهذا الاسم .. إلى أن
قال : (وأرجو من القارئ الكريم أن يوعى باله إلى هذه المرأة أو (الريم)
الأذرية التي كانت من العلم بحيث تجيز القضاة في عصرها .) وفي أوائل
الالف للهجرة بدأت قرية الآبار تعمار حتى لم يمض عليها زمن يسير حتى
امتألت بالفضلاء وسميت بالآبار لكثرة الآبار بها وهي اليوم محلة (قروى)
ولا أعلم كيف نشأ أو تحرف هذا الاسم عن الآبار ؟ .

وكان بقروى بشر كثيرة العذوبة خفيفة الماء تدعى « بشر عجلان »
ثم لما كثرت البيوت بجانبها منذ عام ١٣٦٠ هـ أخذت تلك البشر العذبة تملح
وتغير ماؤها .

(١) اهداء الطائف - خ -

(٢) البلاد السعودية العدد ٢٠٥٥ ص ٦ / ١ / ١٣٧٥ هـ بعنوان « مطالعات وتعليقات »

وكانت عين السلامة هي العين التي يستقى منها أهل الطائف حتى غير مجراها الشريف عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون المتوفى سنة ١٢٩٤ هـ لما عمر بلاده شبرا غير مجرى بلاد السلامة إلى بلاده شبرا . وجعل لسان قرية الهضبة منهلين يستقون منها . وكان ذلك في حدود ١٢٨٠ هـ والقائم على بناء هذا المجرى المعلم محمد بن عتيق السالمي فأجرى دبل العين عن طريق خليج الشريف راجع المشوي الجودي الذي كانت مزارعه تشمل ما يسمى بركيب الحبسي (محلها الآن محلة الشرقية) وفي القرن الحادي عشر الهجري جددت عمارة المسجد العباسي وزيد في أروقه مما يدل على زيادة سكانه وفصل بينها وبين القبور التي في مؤخر المسجد بيجدار . وأحدث به الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان صاحب مكة قبور جماعة منهم أم ولده ، ثم كثرت هذه القبور حتى امتلأ نصف صحن المسجد بها ، ولولا نهى الشريف زيد بن محسن في القرن الحادي عشر عن الدفن فيه لاستؤصل وصار جميعه مقبرة ، قال الدهلوي : ولا قبر في زماننا في صحن المسجد ، قال ابن فهد : وليس في هذا المسجد جمعة ولا جماعة والظاهر أنها كانت فيه قديماً لوجود المنبر به .

وفي القرن الثاني عشر زاد عمران قرية الهضبة ، وزاد سكانها ، وكثرت هجرة الأقبان والأكراد إلى الطائف ثم هجرة الهنود ، واتصلت بعض قرأه ببعضها وصارت تدعى محلة بدل قرية ، لأنه لا يفصل بينها شيء ما مثل محلي السلامة وقروى ، ونتيجة لهذا العمران تميزت ثلاث حارات آنذاك : (١) حارة فوق . (٢) حارة أسفل . (٣) حارة السليمانية . هكذا كانت تدعى ثم استبدلت بلفظة محلة .

كما طوق هذه الحارات الثلاث سور دائري مبني باللبن محفور تحته خندق محفور به من ناحية خارج المدينة ، جدد بناءه وإلى مصر آنذاك محمد علي باشا ، وكان له ثلاثة أبواب : باب الحزم - باب الريع - باب ابن العباس وبالقرب من باب ابن عباس حمام صغير تسبب في بنائه محتسب الطائف (أحمد

خير .) لا يزال بحالته السابقة حتى الآن يؤمه بعض الناس . وكان بالطائف في هذا العصر ستة مساجد عدا المسجد العباسي ، منها : مسجد الهادي اليمني الذي أنشئ في حدود الحسين بعد الألف . ومسجد باعتر الذي أنشأ نزيل الصانع في حدود سنة ١٢٠٢٠ هـ وأعان الشيخ أحمد باعتر الحضرمي على الصلوات فيه ومدرسة القرآن . ومسجد باب الريح المشرف على السلامة المعروف بمسجد السنوسي لكونه بين بيوته . ومسجد الهنود بالسوق بين جامعي الهادي وابن عباس ونسب إلى الهنود لاجتماعهم به سابقاً ومسجد ابن عقيل بنأه العالم الفاضل السيد عمر بن عقيل بن عمر العلوي المكي ، ومسجد الوزير منسوب إلى وزير أمير مكة الشريف سرور عمره الوزير ربحان سنة ١٠٨٩ هـ .

وكانت حدود الطائف ما بين الهدنة غرباً إلى بلاد غامد وزهران وبني مالك شرقاً ، وإلى ركة شمالاً ، حتى الفرع وبلاد بني سفيان جنوباً ، وربما امتدت إلى الثمام . أما اليوم فالمناطق التي تتبع أمانة الطائف من ناحية الغرب إلى الهدنة ومن الشرق إلى الحارث ، ومن الشمال إلى ركة ، وما جاورها من بلاد القثمة والشبابين ، ومن الجنوب إلى بلاد بني سفيان .

يُضاف إلى هذا : المدارس التي تتبع إدارة تعليم الطائف بالتarif ، وتربة ، والحرمه ، ورنبة ، ومنذ عام ١٣٦٠ هـ أخذ عمران الطائف يحتل مكاناً بارزاً ويملاً ما بين قراه ، حتى لا تكاد تسمع أمثال قرية : السلامة - قروى - العزيزية - معشنى - الخالدية - العقيق - المثناة - شبرا - الشرقية - اليابسة - أم خبز - الريان - الشهداء الشمالية - الشهداء الجنوبية - شهار - القمرية - إلا على أنها محلات متلاصقة لا تكاد تميز حدود بعضها كما بلغت مساجد الطائف اليوم أكثر من ٢٠٠ مسجد عدا القرى التابعة للطائف ، وأول مدرسة أنشئت في الطائف هي المدرسة الرشدية أنشأتها الدولة العثمانية سنة ١٢٩٥ هـ تقريباً ، ثم بعد

الحرب العالمية الأولى تحولت إلى المدرسة الهاشمية ، وأقصى ما بلغ اليه عدد طلابها هو ٢٠٠ طالب أما اليوم فعدد مدارس منطقة الطائف الابتدائية لعام ١٣٨٨ هـ هو ١٠٤ من المدارس ، وعدد طلابها ٦٩١٩ طالباً والمدارس المتوسطة ١٣ مدرسة وعدد طلابها ٣٥١٩ طالباً والمدارس الثانوية اثنان ثقيف الثانوية ، ودار التوحيد الثانوية ، وعدد طلابها ٧٤٥ طالباً ، هذا عدا معهد المعلمين الثانوي وعدا مركز الدراسات بالطائف .

وفي عام ١٣٤٥ لم يكن بالطائف سوى مستوصف صحي صغير وأول مستشفى بُني به هو مستشفى الملك فيصل ١٣٥٠ هـ ثم جدد وزيد فيه عام ١٣٨٢ هـ حتى بلغ ما هو عليه الآن من السعة والضخامة كما بُني في عام ١٣٦٧ هـ مستشفى الأمير منصور العسكري وفي عام ١٣٨٢ هـ بني مستشفى السل والأمراض العصبية في السداد .

أما عين الطائف التي كان لها منهلان للسقيا ، فقد أصبحت كثيرة المناهل بفضل انشاء خزاناتها المتعددة التي تستوعب كمية كبيرة من الماء والنشاط في هذا العمران وتخطيطه ، لا ينكر مجهود البلدية في هذا السبيل فقد أخذت على عاتقها تنظيم البلد بواسطة الاكفاء من المهندسين للاشراف على نظافته صحياً بواسطة الأطباء . وقد تعمد الى فتح شوارع جديدة بالمنطقة القديمة تربط بين أرجائه وتكون وسيلة الى تجميل منظره وتحسين عمرانه في أنظار المصطافين والسائحين ، وسنتكلم على بساينه الشهيرة ومنزهاتها المبهجة في المعجم الخاص بالمواضع والأمكنة .

محمد سعيد حسن كمال

الطائف :

نصحيح

جاء في المقال المنشور في مجلة العرب للسنة الثالثة الجزء التاسع بعض
تطبيقات عن (قبيلة عتيبة : أصلها وفروعها) وما نحن نستدركها :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨١٧	٥	لنا فلا بد عن كلفة من	فلا بد لنا من كلفة عن
٨١٨	١٨	الخلصه	الخلصه - بإلقاء المهمة -
٨١٨	٢١	ومن حرك	ومن حسيك
٨١٩	١	الشباء	الشباء
٨١٨	٢١	المهمة سكانهم الحمراء	المهمة سكانهم الحمراء
٨٢١	٢	دخيل	دخيل الله
٨٢١	٦	الثنية	النفقة
٨٢١	٨	العبله	العبله
٨٢١	١٧	الجلسه	الجلسه - بإلقاء المهمة -
٨٢٢	١٢	العطيه	الطفعة
٨٢٣	٣	الضريرات	الضريرات (بالصاد الملة)
٨٢٣	١٣	الذبيانية	الذبيانية
٨٢٣	٢٢	في النسبة اليه	والنسبة اليه
٨٢٣	٢٣	الجلسه والنسبة اليه جليبي	الجلسه والنسبة اليه جليبي
٨٢٥	٢١	وتجتمع كلها وثقيف معها	فتجتمع كلها وعتيبة فيها أو بمخندف فتجتمع كلها وثقيف معها .
٨٢٧	٢١	قضب ممان	قضب العنان
٧٢٩	٢	بازا	بازلا
٨٢٩	٥	الحدير	الحدير
٨٢٩	٢٢	هبره	وبره

من اليمامة إلى مكة المكرمة وصف جغرافي للطريق

- ٣ -

وحينما نترك وادي (أثيفية) بمسافة قليلة نلاقي واديا صغيرا يعترض الطريق ينصب من الصفراء بحذاء (أثيفية) شمالا ويدعى هذا الوادي (بالأواعير) يجتمع مع (المسمى) في مصب واحد .. وبعد هذا الوادي بقليل تبدو لنا هضبتان طويلتان متعانتان هما (القرأين) وبها سميت القريتان اللتان تقعان تحتها .. وهاتان القريتان هما (غسلة) (والوقف) ولم يكن للاخيرة منها ذكر سابق .. اما (غسلة) فتدعى قديما (ذات غسل) وهي لبني غير وكانت قبلا لبني كليب بن يربوع وقيل : انها لبني امرئ القيس ابن تميم كما ورد في شعر ذي الرمة وقد وردت في شعر الراعي . قال :

واظعان طلبت بذات غسل يزيد رسيمها سرعا ولينا
أنحن جماهن بذات غسل سراة اليوم يهدن الكدونا

وقال الراجز :

بثرمداء شعب من عقلي وذات غسل ما بذات غسل

وهذه البلدة (غسلة) كما تسمى الآن أو ذات غسل كما كانت تسمى هي بلدة الشيخ ابن بليهد صاحب كتاب « صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » المتوفى عام ١٣٧٦ هـ رحمه الله . ونحن هنا نورد عبارته عن بلدته قال :

(وأما غسل بكسر أوله وسكون ثانيه فهي قرية من قرى الوشم)

وقد أورد ياقوت عليها عبارات كثيرة شيئا أصاب فيه وشيئا لم يصب فالذي لم يصب فيه قوله : قال ابو عبيد الله السكوني من أراد اليمامة من النباج فمن (أشي) الى ذات غسل فهذا خطأ فلو قال ياقوت رحمه الله : من أراد اليمامة من النباج فمن (أشقر) الى ذات غسل فقد أصاب لو انه وضع أشقر مكان اشي . وأما قوله وهي اليوم لنمير فهذا قريب من الصواب لانهم أخذوا الحاج في خلافة المستعين العباسي فبعث اليهم حملة عسكرية يقودها قائد من قواده تركي يقال له (بغا) فما زال يقاتلهم حتى فرق جمعهم وظفر بهم وشريداهم أوى الى شفاف الجبل وبعضهم أوى الى أودية هذه القرية وجبالها لأنها منيعة .. وما يؤيد ما ذهبنا اليه واد من أوديتها التي يسقيها يقال له النميري الى هذا المهد وبه منهل ماء يقال له النميري . وأصح ما ذكره ياقوت قوله : وبها روضة تدعى ذات غسل فكأنه من اهل تلك الناحية فهذه الروضة باقية على اسمها ولكن المتأخرين صغروها في هذا المهد فقالوا لها (رويضة غسلة) وهذه القرية هي قرية المؤلف وأحب أن أقول كما قال الاول :

بلاد بها نيطت على تمائي واول ارض مَسَّ جلدي تراها

انتهى كلام ابن بليهد :

ويلتقي في هذه القرية واديان هما وادي (العنبري) وبه استدل من استدل على انه كان سابقا لبني العنبر من تميم . والوادي الثاني هو النميري الذي سبق ذكره في كلام ابن بليهد .

وفي هذه القرية يقول بعض الشعراء :

ايا ذات غسل يعلم الله انني لجوِّك من بين البلاد صديق
ويا ذات غسل ربح أرضك طيب كمسك لقا بين الصلاء سخي

وبعد ان نترك القرائن (ذات غسل) و (الوقف) ونجتاز واديها تقابلنا هضبة شقراء منفردة وتقع بلدة (شقراء) قاعدة الوشم تحتها شمالا عنها وبهذه الهضبة الشقراء سميت بلدة شقراء ..

قال صاحب المعجم : عن ابي عبيد : والشقراء قرية لعدي وإنما سميت
الشقراء بأكمة فيها .. « وقد ذكرها زياد بن منقذ في قصيدته التي يتشوق
فيها الى وطنه (أُشَيِّ) قرية قرب (المَجْمَعَة) وكان قد تقرب الى
اليمن قال :

مضى على الشقراء معتسفا خل النقا بمروح لهما زيم
والوشم قد خرجت منه وقابلها من الشبايا التي لم أقلها ثم

وكان لشقراء ماضٍ تجاري مشهور فهي من المدن الرئيسية في نجد التي
اشتهرت بتجاريتها واثرياء الناس لها.. ولها ايضاً ماضٍ في الحفاظ على العقيدة
والغيرة على المبدأ .. فقد صأدمت جيوش (محمد علي) أيام غزوها نجداً .
يقول شاعرهم الشعبي أيام اشتغال الملك عبد العزيز بتوحيد الجزيرة :

لنت الايتام تسبدي غيبها كان أباشير بالتلازم واعين
نجد عذراً حصّر خطيبها والجهاز الفسك والمكارتين
عافت الأجنبي من طيبها مما تبى إلا إمسام المسلمين

ويقول الشاعر ابن حُصَيص مشيراً الى حفاظ أهل شقراء على ديانتهم :
حَالِفٍ مَا اسْلَى وَلَا انْسَى حَيْبَ سَارِهِ كودُ أهل شقرا يَحْتَلُونَ الصَّلَاةَ
وأهل شقراء من بني زيد القبيلة المعروفة في نجد يرجع نسبها الى قحطان .
والاودية التي تسيل على شقراء هي (وادي الغدير) و (وادي العُشيرة)
و (وادي الرَيِّمة) وكلها تسيل من صفراء الوشم مشرقاً وتنصب في
(شقراء) .

ومن شقراء يأخذ الطريق اتجاه الغرب بعد ان كان مشعلاً منذ دخلنا قاع
(قرقرى) ويأخذ في الصفراء القائمة غربي منطقة الوشم والتي تصاحبنا يسار
الطريق منذ فارقنا (قَرَقَرَى) .. فغربي منطقة الوشم يقع بين هذه
الصفراء وبين كثيب الجبل فالصفراء غربيه والكثيب شرقيه ، وأودية الوشم
كلها تنصب من تلك الصفراء .. وإذا امتطينا ظهرها مغربين وعسدنا ببصرنا

الى ما خلفنا رأينا أحسن ما نرى من منظر طبيعي .. رأينا كثيب الجبل
بحمرته الذهبية شاقاً منطقة الوشم ويبدو لنا على بعد من الناحية الشمالية
كثيبان عاليان متناوحيان يقال لهما ربحان (ربحان) في لهجة اهل تلك الناحية
ويبدو لك غريبها بينها وبين الصفراء : (أشيقير) (والفرعة) و
(أشيقر) بلدة قديمة اسمها قديماً (عكل) باسم اهلها بني عكل وفيها يقول
شاعر شعبي يعزى لبني هلال :

وَرَدْنَاكَ يَا عِدَّةَ تَسْمَى (وشيقير) وَصَدَرْنَا حَيَامَ وَالثَّرَابِ وَجَيْدُ
وَطَا زَرْعُهُمْ مِنْ طَارِفِ الْمَالِ بِكَرَاهِ وَعَقَرَهَا الَّذِي رَأَاهُ مَا هُوَ بِسَيِّدِ
إِلَى كَسْرُوْنَا نَتَقِي بِسَلَامَةٍ وَالِي كَسْرُنَا هُمْ اتَّقُوا بِحَدِيدِ
حَدِيدٍ يَحْدُ الْخَيْلِ فِي دَارِ الْقَنَّا يَمْدِي عَلَى فِرْسَانِنَا وَيَزِيدُ
وقال في معجم البلدان : قال الحفصي : الأشيقير جبل باليامة وقرية لبني
عكل قال مضر بن ربيعي :

تحمل من وادي أشيقر حاضره وألوى بريمان الخيام أعاصره
ولم يبق بالوادي لأسماء منزل وحوراء الا مزمن العهد ودائره
ولم ينقض الوسمي حتى تنكرت معاله واعتم بالنبت حاجره
فلا تهلكن النفس لوماً وحسرة على الشيء سداه لغيرك قادره

و (الفرعة) يحوار (أشيقر) من الجنوب جل سكانها من النواصر من
نيم وفيها يقول احد شعرائها الشعبيين محمداً مكانها :

يَادِرِي عَنَّا وَشَيْقِرَ شِمَالِي وَعَنْهَا الْحَوِيلَةُ وَالْعَرَّاقِيبُ مِنْ شَرْقِ
قَبِيلَتِهَا الْبُسْتَا وَهَآكَ السَّهَالِي وَاخْشُومَهَا إِلَى تَائِفَاتٍ عَلَى الْبَرْقِ
وَجَنُوبَهَا دَوْرٌ وَعَذِي الْمَنَالِي تَشْبَعُ رَعَايَاهَا إِلَى لَاحِجِ الْبَرْقِ
وَفِي وَسْطِهَا عِدَّةٌ قَسْرَاحٍ زَلَالٍ يَرُدُّهَا الْخَفَسَرَاتُ لِبَاسَةِ الرِّزْقِ

ويبدو لنا ايضاً من خلف (كَثِيبِ الْجَبَل) على بعد (جَبَلُ الْيَامَةِ)
(طُوَيْتِ) شاعراً بمرانينه وثنائاه وهضابه البيض تمتداً من الشمال الى

الجنوب كأحسن ما يرى الرائي من الجبال منظرأ ورواء ..

وينحدر الطريق من (صَفراء الوَشم) مغرباً الى سهل منبسط يقع ما
بين هذه الصفراء و (كَثِيبِ السَّر) يقال له (المَرَوَات) وقد تسمى
(المروثة) وهي مشتقة من واقعها (فَكَلَمَرَتْ) لغة الأرض لا نبات بها
او قليلة النبات قال ابن هرمة :

كم قد طوين اليك من مروثة ومناقل موصولة بمناقل
وقال كثير :

وقعم سيرنا من قور حسمى مروت الرعي ضاحية الظلال
وهذه الأرض كذلكم حزون وقيعان وموامي قليلة النبات .. وهي من
بلاد بني كليب، وقيل لباهلة قال في لسان العرب : والمروت بلد لباهلة وعزاء
الفرزدق والبعيث الى كليب فقال الفرزدق :

تقول كليب حين تمت جلودها واخصب من مروتها كل جانب
وقال البعيث :

أأن اخصبت معزى عطية وارتعت تلاءاً من المروث أحوى جيمها
وكان (بالمروت) يوم من أيام العرب بين بني قشير وبني يربوع ومن
شايعهم من قيم ، وقد هزم فيه بنو قشير وقتل رئيسهم بجير بن سلمة فرثاه
يزيد بن ازهر الصعق بقصيدة منها :

أوارد علي بنو رياح بفخرهم وقد قتلوا يُجَيَّراً
فأجابته امرأة من بني يربوع بقصيدة منها :

أفخرنا في الخلاء بغير فخر وعند الحرب خواراً ضجور !؟
وقال سحيم بن وثيل :

تركنا بمروث السحامة ثاوياً يجيرا وعض القيد فينا المثلما

ويعصف الاعشى المروت فيقول :

ولو أن دون لقاءها المـ مروت دافعة شعابه
لمبرته سبعا ولو غمرت مع الطرفاء غابه

والمعجب ان ابن بليهد - رحمه الله - ذكر (المروت) في أكثر من موضع في كتابه ويرى انه يعد نفود السر لا قبله وهذه عبارته :

« موضعها - يقصد المروثة - بين كثيب السر وبين عرض ابني شحام جنوبها الطنبيس الواقع في أسفل بلدة القويعة وشمالها منهل خف والمركة التي دارت بين بني قشير وبني تميم عند جبيل (سُوْفَة) المعروفة عند جميع أهل نجد ومما يؤيد ما ذهبنا اليه قول جرير :

بنو الخطفى والخيلى ايام سوفة جلوا عنكم الظلماء فانشق نورها

والمروت وسوفة تحملان اسميهما إلى هذا العهد ويرى - رحمه الله - ان ما نسميه المروثة هو (الجِلَّة) أو (الجُلُوء) - أي جمع جِلَّة .

والناس الآن يكادون يجمعون على ان (المروت) هو هذا المكان الذي نتحدث عنه لا غيره ، وما التفتيت بأحد ممن له دراية سواء من أهل المنطقة أو من غيرهم يوافقون ابن بليهد على رأيه .. فما هو يا ترى مصدر هذا الفهم لديه؟ هل غير ما أورده من بيت جرير انه لا يقوم حجة تنقض هذا الاجماع ثم إن المسمى وصفة الأرض - المروت - لا تصدق إلا على ما عليه الاجماع وبيت جرير لا ينهض حجة تغير هذا الواقع (فسوفة) قريبة من المروت حينما يتلاشى كثيب السر ويضعف ، والعرب تنعت المكان أو تضيفه الى أقرب علم مشهور حوله ..

وما رآه - رحمه الله - من ان ما بين كثيب (قنيفذة) و (السَّر) يسمى (الجُلُوء) جمع (جِلَّة) لا ينافي ما ذكرنا .. فما بين الكثيبين طويل عريض وليس من اللازم ان يطلق عليه كله اسم واحد ، فالذي تناقلته الرواة وافق عليه الناقلون ان (المروت) هي ما بين (جَيْب غُرَاب)

(والمَلَحَحَاتِ) و (البُسْتَرِ) شمالاً وما بين مناهل (سَامُودَةَ) و (البُدَيْعَةِ)
و (البَعَائِثِ) وما حاذها من الأرض قفوف ومرتفعات وحزون تكون
فاصلاً بين (المروت) وبين (الجلة) .

وبالجلة مناهل كثيرة شهيرة حفل الشمر بذكرها فيها (دَلَقَاتِ)
و (سُدَيْرَةِ) و (حَلَوَانِ) و (الطَوِيلَةِ) و (العُجْرَمِي) و (تَبْرَاكِ)
و (الانجَلِ) وجنوبي الأنجل جبيل ليس بالكبير يسمى (المِضْبَاعَةِ)
معروف لدى الكثير وقد ورد ذكره في الشعر قال أحدهم :

فالجزع بين (ضباعة) فرصافة فعوارض جو البساسس مقفرا

وفي سديرة يقول أحد بني قشير وهي ماء لهم :

تساءلني كم ذا كسبت ولم أكد بنفسي من يوم السديرة أقلت

وفي (تبارك) يقول جرير :

إذا جلست نساء بني نمير على (تبارك) خبثن الترابا

ويقول ابن مقبل :

جزى الله كعباً بالآبائر نعمة وحياً بهشود ، جزى الله اسعدا

وحياً على تبارك لم أر مثله رجاً قطعت عنه الحبائل مفردا

بكيت بخصمي شتة يوم فارقوا على ظهر عجاج العشيات اجردا

وفيه يقول رزين بن ظالم العجلي ابو كدراء :

أرى الله نجاني وصدقت بعدما خشيت على (تبارك) ان لا اصدقا

وأعيس إذ كلفته وهو لا غب سرى طيلسان الليل حتى تمزقا

وقال أحد بني نمير :

أعرفت الدار أم أنكرتها بين (تبارك) فشتي عبقر

ويقول يحيى بن طالب :

يا ليت شعري والانسان ذو أمل والعين تذرف أحياناً من الحزن !!

هل اجعلن يدي للخذ مرفقة على شعيب بين الحوض والعطن ؟
أم هل أقول لفتيان على قلص وهم بئراك : قضا نومة الوسن ؟

ومن (المروت) يفضي بنا الطريق إلى (كثيب السر) وهو جبل من
الرمل ممتد من الجنوب إلى الشمال ونهايته من الناحية الجنوبية بقرب منجلي
(الأنجل) و (دلقان) المار ذكرها ويمتد شمالاً فيجتمع بكثبان
القسم ، فكثيب عريتق المظهور ، فالدهناء ..

و (السر) الذي يضاف إليه هذا الكثيب هو إقليم ممتد بقع جنوبي
القسم ويقبل محاذياً لهذا الجبل من الناحية الغربية .. وأقصى قراء شمالاً
(العمار) و (المربع) وجنوباً (خف) و (الخفيفية) أي قريب
من عين طريقنا الذي نسلكه ..

يقول جرير (في السر) :

استقبل الحي بطن السر أم عسفوا فالقلب فيهم رهين أينما انصرفوا ؟

ويقول ضرار بن الأزور رضي الله عنه :

ونحن منعنا كل خبت وتلعة من الناس إلا من رعاها مجاورا
من السر والسراء والحزن والملا وكن مخنئات لنا ومصائرا
وقال امرؤ القيس :

فلما أت علا كنفي أضاح وهدت أعجاز ريقه فعارا
فلم يترك بذات السر ظيبا ولم يتدل بقاعته حمارا
وقال زهير بن أبي سلمى :

دار الأسماء بالغمير ماثلة كالوحي ليس بها من أهلها إرم
وقد أراها حديثاً غير مقوية السر منها فوادي الحفر فالهدم

ومن جبل السر ننحدر على دراك فسفل منبسط يمتد من الشمال إلى
مائة (خف) ومن الجنوب إلى أسفل وادي (القويعية) ومن الغرب

(صَفْرَاءُ السَّر) و (التَّسْرِير) و (الْقِرْنَة) وما صاقها .. ولم يكن
بهذا السهل جبال الا جبيلا واحداً في جنوبه يقال له (سوفة) وهو الذي
عناه جرير في قوله :

بنو الخطفى والحيل أيام (سوفة) جلاوا عنكم الظلماء وانشق نورها

وبهذا السهل منهل (الحَرْمَلِيَّة) وقد جرت فيه وقعة كبرى بين قبيلة
عتيبة يحذمها الكبيرين - برقبا والروقة - وبين قبيلتي مطير وقحطان
فانهزمت قبيلة عتيبة ذلك اليوم وقد القت بغلظة كبدها وجاءت عن بكرة
أبيها ومن قادتها ذلك اليوم محمد بن هندي بن مُحَيِّنْد وهذا الشيباني وابن
حِجَّة والحِظَل وأبو العلاء والداهينة وأبو رقة والمهري والرابعين (آل
رُبعمان) وآل محيّا ..

ومن رؤساء مطير نايف بن بُصَيْص ومن رؤساء قحطان محمد بن
حشيفان ..

ويقال ان قبيلة عتيبة لم تهزم مجتمعة الا ذلك اليوم ..

وفي يوم (الحرملية) يقول فيحان بن زربان رئيس الرخمان من مطير
من أبيات شعبية يفتخر فيها بموقفه ذلك اليوم :

يا فاطِري ما اَرْخَصْتَ فيها بالاثْمَانُ
الاَّ بيُومَ مَا يُقْلِبُ صُورِيْنِ
رَدَّيْتَهَا لِمُنْجِيِّ الحِرْدِ ضِيْدَانُ
مَنْابُ مَنْ بالضَيْقِ يَنْسَى صِحِيْبِيْنِ
رَدَّيْتَهَا مِنْ رُبْعِ سُوْفَةٍ عَلَى شَانُ
تَنْجِيِيهِ وَقَتِ الضَيْقِ والاَّ تَنْجِيِيْنِ
قِلْتُ : اسْتَرْحِ فِي كُوْرَهَا يَا بُو سُلْطَانُ
وَلِلنَّاسِ مَعَ هَاكِ الثَّنَا يَا حَطِيْبِيْنِ

صَيَّبَتْ وَغَطَّاهَا مِنْ الْمِلْحِ دَخَانٌ
وَعَجَّ كَثِيرٌ وَلَا نَشُوفُ الضَّرِيبَةَ
قَالَ : إِبْتَجِحْ بِالنَّصْرِ يَا بْنَ زُرَيْبَانَ
وَالطَّيْرُ يَبْشُرُ بِالْعَاصَا مِنْ عَثَائِبِهِ
يَا زَيْنَ ذَبَحِهِ وَالْمِلْحُ لَهُ تَرْشَانُ
لَا بَيْنَ مُحِبِّهَا عِنْدَ خَشَمِ الْجَذِيبَةِ
ثُمَّ ذَبَحَ عِنْدَكَ جُودَيْنِ وَخَصَّاصَانِ
وَفَلَّاحٍ فِي الدَّاشَةِ وَرَاهَا رَمَى بِهِ
هَذَا عَاشًا لِلضَّبْعِ وَالذَّيْبِ بِرَحَاتِ
أَيَّامٍ (بِالْمَرْوَاتِ) يَرْفَعُ قَيْنَيْبَهُ
وَفِي (الْحَرَمِيلِيَّةِ) وَرَدَ شَعْرُ لَعْنَتِهِ بِاسْمِ (ذَاتِ الْحَرَمْلِ) قَالَ :

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رُسُومِ الْمَنْزِلِ بَيْنَ الْكَيْكِ وَبَيْنَ ذَاتِ الْحَرَمْلِ
فَوَقَفْتُ فِي عَرَصَاتِهَا مُتَعَبِرًا أَسْلَ الدِّيارِ كَفَعْلٍ مِنْ لَمْ يَذْهَلِ
لَعَبْتُ بِهَا الْأَنْوَاءَ بَعْدَ أَنْيَسِهَا وَالرَّامَسَاتِ وَكُلِّ جَوْنِ مَسْبِلِ

وَمِنْ مَنَاهِلِ هَذَا السَّهْلِ الَّتِي يَتْرَكُهَا الطَّرِيقُ يَسَارُهُ بَعْدَ أَنْ يَأْخُذَ بِهِ
قَرِيبًا مِنْ نِصْفِهِ مَنَاهِلُ (نَفْجَةِ) وَ (مُكَيْبَةِ) وَ (الشَّهْبِيَّةِ)
مُتَوَالِيَاتٌ حَسَبِ التَّرْتِيبِ أَقْرَبُهَا مَسَافَةً سَبْعَةُ أَكْيَالٍ وَأَبْعَدُهَا مَسَافَةً خَمْسَةَ
وِثْلَيْنِ كِيلًا . وَعَلَى يَمِينِنَا وَنَحْنُ نَجْتَازُ هَذَا السَّهْلَ مِائَةَ (خُفَّ) وَاسْمُهَا
قَدِيمًا (خُفَّافٌ) بِالضَّمِّ فَالْفَتْحُ وَهِيَ لَبْنِي غَيْرٌ .. قَالَ الرَّاعِي النَّمِيرِي :

رَعَتْ مِنْ خُفَّافٍ حَيْثُ نَقَّ عِبَابُهُ وَحَلَّ الرُّوَايَا كُلَّ اسْمِهَا مَاطَرُ
وَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

نَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَنْ آذِيهِ عَرَضَ خَيْمِ فُخْفَافٍ فَيْسِرُ
وَيُقَالُ لَهُ وَلَمْ يَنْهَلْ عِنْدَهُ (خُفٌّ وَالحَقِيفِيَّةُ) مِنْ الْأَسْمَاءِ الَّتِي تَنْطَلِقُ بِصِيغَةِ
وَاحِدَةٍ كَقَوْلِهِمْ (شَقْرَاءُ وَاشِقْرُ) وَ (قَسْرِيَّةٌ وَقَسْرِيَّةٌ) وَ (عَفِيفَةٌ وَعَفِيفَةٌ)

و (الشَّرِيف والشَّرَفَة) وقد عمره حديثاً الرباعين (آل ربيعان) من عتبية واصبح بلاد عامرة ذات زرع ومدر ..

وعندما نجتاز طريق - السر - القصيم - الذي يتشعب من طريقنا هذا بعد ما نجتازه بمسافة قليلة تعترض (صَفْرَاء السَّر) يمين الطريق وصَفْرَاء (الدُمَيْشِيَّات) يساره ويأتي الطريق بينها عند مصب التسير ومصب حميّان واديان أحدهما وهو التسير الآتي من الناحية الشمالية الغربية وحميّان الآتي من الناحية الجنوبية الغربية فيقترنان هنالك في مكان يسمى (القِرْنَة) ومن ثم ينحدران مشرقين ثم مشملين .

تأخذ صفراء السر في الامتداد من هذا المكان ذاهبة نحو الشمال جاعلة قرى السر يمينها ويضم شرقها بعض هذه القرى حتى تحاذي اقصى قرى السر - العبارة والمربع - فهناك يلتقي غريبها بطرف كثيب (الشَّقِيقَة) الكثيب الواقع جنوبي (وادي الرِّمّة) بطرفه الجنوبي الشرقي . ويمتد شرقي هذه الصفراء إلى محاذاة (عُنَيْزَة) شرقها شمالها .. وهذه الصفراء مناهل أهمها : منهل (مُغِيَّب) تضاف هذه الصفراء اليه احياناً فيقولون : (صفراء مغيب) وهنالك (الطَّوَيْلَة) و (الطَّوَيْقِي) و (العُمَيْشِيَّات) و (الدَّمَشِي) . . وخلفها من الغرب حزون متصلة توشحها الرمال يقال لها (التَّنْدُوَّة) ..

ويسيل من (صفراء السر) شرقاً اودية كثيرة تنصب في رياض تقع بينها وبين (جبل السر) من أهمها روضة تدعى (مُطْرِبَة) اما صفراء (الدُمَيْشِيَّات) فهي التي يتركها الطريق يساره قبيل (القرنة) وتتجه جنوباً .

ويمضي بنا الطريق حتى (القرنة) مصب (حَمِيَّان) و (التَّسْرِير) والقرنة لعلمها التي يعينها لبيد في قوله بيوم (القرنيتين) وهو لفظان على بني عامر بن صعصعة :

وغداة قاع القرنتين أتيتهم	رهوا يلوح خلالها التسويم
بكتائب رجح تعود كبشها	نطح الكباش كأنهم نجوم

فدائوس في تاريخنا

- ٧ -

ثابت قطنة

ما أعظم ما لقي العرب بعد الخليفين أبي بكر وعمر من خلاف فرق جماعتهم ومن حروب أفنت معظم أبطالهم، وحسبك أن الخليفة الثالث ذا النورين عثمان وأن الخليفة الرابع ابن عم رسول الله وزوج ابنته الطاهرة وأبا الحسن والحسين كرم الله وجهه قد صرع كلاهما بأيدي قوم ظنوا أنهم يقتل كل من هذين الخليفين يتقربون من الله . وهل من بلاء أعظم من أن يقتل الرجل أخاه ، وإن يقتل المرء ابن عمه ؟ وإن يلتقي علي بن أبي طالب والزبير ابن عمته في معركة الجمل حيث صرع من المسلمين ثلاثون ألفا وإن يلتحم مسلمو الشام ومسلمو العراق في

فارتت قتلام عشية هزمهم حتى بمنعرج المسيل مقيم
وقال في معجم البلدان : قال : القرنان تنشئة قرنة بين البصرة واليامة
في ديار تميم عندها أحد طرفي العارض جبل اليامة بينه وبين الطرف الآخر
مسيرة شهر . قال ابن الكلبي : ثعلبة بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر
ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة يعرف بالقاتك وهو الذي قتل
داود بن هبولة السليحي وقال :

ونحن الأولى أردت طبات سيوفنا داود بين القرنين بحارب
وكذاك إنا لا تزال سيوفنا تنفي العدى وتفيد رعب الراعب
خطرت عليه رماحنا فتركنه لما قصدناه كأمس الذاهب
انتهى ما في المعجم . (للبحث صلة)

عبدالله بن محمد بن خميس

الرياض -

فدائوس في تاريخنا

- ٧ -

ثابت قطنة

ما أعظم ما لقي العرب بعد الخليفين أبي بكر وعمر من خلاف فرق جماعتهم ومن حروب أفنت معظم أبطالهم، وحسبك أن الخليفة الثالث ذا النورين عثمان وأن الخليفة الرابع ابن عم رسول الله وزوج ابنته الطاهرة وأبا الحسن والحسين كرم الله وجهه قد صرع كلاهما بأيدي قوم ظنوا أنهم يقتل كل من هذين الخليفين يتقربون من الله . وهل من بلاء أعظم من أن يقتل الرجل أخاه ، وإن يقتل المرء ابن عمه ؟ وإن يلتقي علي بن أبي طالب والزبير ابن عمته في معركة الجمل حيث صرع من المسلمين ثلاثون ألفا وإن يلتحم مسلمو الشام ومسلمو العراق في

فارتت قتلام عشية هزمهم حتى بمنعرج المسيل مقيم
وقال في معجم البلدان : قال : القرنان تنشئة قرنة بين البصرة واليامة
في ديار تميم عندها أحد طرفي العارض جبل اليامة بينه وبين الطرف الآخر
مسيرة شهر . قال ابن الكلبي : ثعلبة بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر
ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة يعرف بالقاتك وهو الذي قتل
داود بن هبولة السليحي وقال :

ونحن الأولى أردت طبات سيوفنا داود بين القرنين بحارب
وكذاك إنا لا تزال سيوفنا تنفي العدى وتفيد رعب الراعب
خطرت عليه رماحنا فتركنه لما قصدناه كأمس الذاهب
انتهى ما في المعجم . (للبحث صلة)

عبدالله بن محمد بن خميس

الرياض -

صنفين فيهلك منهم تسعون الفا ؟ نعم لقد كان هناك ما هو اعظم من هذا وأشد ذلك هو تفرق المسلمين الى فرق متعددة وأشياخ لهذه الفرق متناحرة ظلت كالسوس تنخر في جسم الدولة الاسلامية حتى اسقطتها أخيراً ، ثم انتقال الحكم من الشورى الى الوراثة ومن الخلفاء الراشدين الى عائلة الامويين حيث عادت العصبية الجاهلية تطل برأسها المشؤوم فأخذ العرب يفني بعضهم بعضاً حتى انتقل الحكم من أيديهم وصار لغيرهم من أتراك وديلم ومغول .

إن الامويين في بداية أمرهم وفي عهد الخلفاء أوائلهم ظلوا رافعين علم الجهاد ، متصفين بصفات المسلمين الأخيار يصارعون خصومهم في الداخل ويرعون المجاهدين في الثغور فامتد سلطان المسلمين واتسعت رقعة الدولة في أيامهم ووصل العرب الى بلاد وممالك بعيدة ، من الاندلس غرباً حتى الصين شرقاً وظهر في عهد هذه الدولة ابطال كرام كوسى بن نصير وطارق بن زياد وعقبة بن نافع وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم من القادة والسادة الذين عز نظيرهم في تاريخ أعظم الأمم الأخرى ولكنهم جميعاً خلا عقبة بن نافع الذي قتل في المعركة قتلوا وهم الفاتحون للعظام بأيدي بني قومهم أو لقوا الهوان والمذلة التي سببت موتهم في حزن وغم عظيمين .

إن العصبية الجاهلية والقبلية والعنصرية هي التي فعلت كل شر في عهد أوائل الامويين ثم انضم اليها في عهد أواخرهم الترف والفساد فصار الخليفة أسير مغنيتين في قصره حباية وسلامة ^(١) أقام عليها ليلة ونهاره صبحه ومساءه فذهب الغزو المقرب للغننى ، وجد العلم الذي ظل يرتفع على مدينة بعد مدينة ، وفقدت البطولة . ثم ملئت قصور المباسين بحبابات وسلامات لا حصر لهن ولا عد فتقلصت الدولة وظلت تتقلص حتى لم يبق للخليفة سوى قصره تحكم فيه قهرماناته لا هو .

إن هذا الفدائي الكرمي ثابت قطنة عاش في عهد الدولة الأموية واسمه ثابت بن كعب بن جابر العتكي الأزدي فقد عينه في حروب الترك فكان

(١) مغنيتان كانتا للخليفة يزيد بن عبد الملك .

يضع مكانها قطنة فلقلب بذلك القلب :

كان فارساً شاعراً عاش حياته في خراسان وبلاد الأفغان بين كابل وكشغر
وبخارى وسمرقند مرابطاً مع اخوانه في صفوف المسلمين ضجيجاً في ليله حسامه
ورفيقه في نهاره ، خصانه ، عاش حياته كلها على هذا المتوال ، ثم مات شهيداً
في ساحة القتال ، له شعر في كتب الأدب وأخبار في كتب التاريخ والسير
وهو في شعره وأخباره مثل لعربي العصر الأموي المضطرب في حياته بين
التعصب لقبيلته وبين الإعجاب بالأبطال والمجاهدين من سواها ، بين المهاجرة
للشعراء من قرنائهم ، وبين الحرص على الدين ومقاومة المخالفين لقواعده . ولكن
ثابتاً عاش حياته فداثياً يحرص على الموت ، يطلبه ولا يخشاه ، ويسمى اليه ولا
يتوقاه ، واضطر أن يشترك مع بني عصره في تلك الصفات لأنه إنسان يتأثر
بما حوله فيقاوم ويصاول ، ويخضع أحياناً ويهادن ، سنة الله التي لن تجد لها
تبديلاً .

وإليك صوراً لهذه الأمور في حياة ثابت .

١ - ثابت يتعصب لقبيلته :

الازد - قبيلة ثابت - توزن بتميم عدداً وأبطالاً ومن أعظم رجالها
المهلب بن أبي صفرة القائد الموفق الشجاع الذي حنكته الحروب حتى صار
رجلها غير مدافع ، اعترف له بذلك العدو والصديق ، حارب الخوارج وقد
كادوا يثلون عرش أمية حتى خضد شوكتهم وفرق جماعتهم وقتل قادتهم
وكان من قادة الفتوح في آسيا ، وهو الذي حرص أبناؤه على الوحدة عند موته ،
وضرب لهم مثلاً بحزمة العصي تكسر واحدة واحدة ، ويمز كسرهما مجتمعة ،
ويحرص شديد نفذ أبناؤه وصيته فلم يعرف عنهم مع كثرتهم وشهرتهم
ومكانتهم سوى الحب لبعضهم ، وقد احتلوا مناصب عظمى في الجيش والحكم
وكان الأمويون يرونهم أكفاء لهم اتخذوهم أصدقاء ، وجلساء . وكان أشهرهم
يزيد بن المهلب الذي ورث أباه في ولاية خراسان ثم عزله الحجاج ثم أعاده

سليمان بن عبد الملك إلى خراسان ففتح مدناً عظمى كمدينة جرجان وكسب أموالاً طائلة وكتب إلى سليمان بن عبد الملك - وكان صديقه - يخبره بعدد تلك الأموال فلما مات سليمان وولى الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز طالب يزيد بهذه الأموال فأنكرها يزيد فسجنه عمر وكان يكرهه ويلقبه بالطاغية ، وكان يزيد بدوره يلقب عمر بالمراثي ، فلما مرض عمر وكانت ولاية العهد بعده ليزيد بن عبد الملك وكان عدو يزيد بن المهلب فر يزيد من سجن عمر وكتب إليه أنه لو لولا خوفه من يزيد لما فر من السجن . وقتل يزيد في معارك مع جيوش يزيد بن عبد الملك كما قتل كل محتمل من بني المهلب فتأثر لهذه النكبة التي أصابت رأس بني الأزد ثابت قطنة فقال يرثي يزيد :

ألا يا هند طال علي ليلي	وعاد قصيره ليلاً تماماً
كأنني حين حلقت الثريا	سقيت لعاب أسود أو سما
أمر عليّ حلو العيش يوم	من الأيام شيني غلاماً
مصاب بني أبيك وغبت عنهم	فلم أشهدهم ومضوا كراماً
فلا والله لا أنسى يزيداً	ولا القتلى التي قتلت حراماً
فعلتي أن أبو بأخيك يوماً	يزيداً أو أبوء به هشاماً ^(١)

وقال أيضاً :

أبى طول هذا الليل ان يتصرماً	وهاج لك الهم القواد المتما
أرقت ولم تارق ممي أم خالد	وقد أرقت عيناى حولاً مجرماً
على هالك هد العشرة فقده	دعته المنايا فاستجاب وسلاً
أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهداً	تسليت أن لم يجمع الحي مائماً
وفي غير الأيام يا هند فاعلمي	لطالب وتر نظرة إن تلوما
فعلتي إن ما مالت الريح ميلة	على ابن أبي ذبان ^(٢) أن يتندما

١ - يقصد يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك .

٢ - أبو ذبان كنية عبد الملك بن مروان لأن الذباب كان يدخل فيه وهو قائم فقد كان واسع الفم .

قصاصاً ولا نعدو الذي كان قد أتى إلينا وإن كان ابن مروان أظلمنا
وإننا لعطافون بالحلم بعدما نرى الجهل من فرط اللئيم تكمرنا
وإننا لحلالون بالثغر لا نرى به ساكناً إلا الخفيس العرمرم

وأيّن كان ثابت ؟ ولم لم ينصر أقاربه بني المهلب ؟ لأنه حلال بالثغر لا
يبرحه ، مجاهد لا يترك الجهاد ولكن قصائده في رثاء يزيد وآل المهلب
كثيرة وكاد يلقي حتفه بسببها ولكن جهاده كان شفيعه الذي لا تخفى ذمته .
فقد روى أن سعيد بن عبد العزيز الأموي لما جاء والياً على خراسان جلس
يعرض الناس فلما دعي بثابت قطنة تقدم وكان تام السلاح جواد الفرس
فارساً من الفرسان فسأل عنه ، فقليل له : هذا ثابت قطنة وهو أحد فرسان
الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قيل له : هذا الذي يقول :

إننا لضرايون في حمس الوغى رأس الخليفة إن أراد صدوداً

فقال سعيد : عليّ به !! فردوه ، وهو يريد قتله ، فسأله عن الشعر فرواه
له هكذا :

إننا لضرايون في حمس الوغى رأس المذوّج إن أراد صدوداً
عن طاعته الرحمن أو خلفائه إن رام إفساداً وكرّ عنوداً

فقال له سعيد : لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك

والحقيقة أن قصائده الكثيرة قد جاورت آذان الأمويين حتى سمعها كل
الناس فقد روى أن مسلمة بن عبد الملك سمع بقول ثابت — ومسلمة هو الذي
تولى قتال يزيد بن المهلب :

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا كانوا ليومك يا يزيد شهوداً

فقال مسلمة لوددت والله أنهم كانوا شهوداً يومئذ فسقيتهم بكأسه .

إن ثابتاً حزين على يزيد وبني أبيه ويتمني أن لو شهد يومهم ليقاقل معهم
عصبية منه لأنهم أقرباؤه وبنو قبيلته ولكنه يلومهم على أخطائهم فإن معاوية
ابن يزيد بن المهلب قتل أسرى كانوا لديه فخاطبه ثابت بقوله :

ما سرّي قتل الفزاري وابنه عديّ ولو أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت « معاوى » زلة وضعت بها أمرى على غير موضع

ثابت معجب بالأبطال من قبائل أخرى :

هذا تعصبه لقبيلته مجازاة لروح العصر ولكنه لشجاعته وبطولته كان
يقدر البطولة ويحترمها ويمدحها حيثما وجدت بين زملائه وقادته في بلاد
خراسان وصحاري ما وراء النهر .

وهذه بعض قصائده في أولئك الأبطال ترى فيها معارك الفتوح مصورة
بفن ثابت وشعره الواضح الصادق :

كان في نواحي مدينة سمرقند قلعة تسمى « قصر الباهلي » نزلتها مائة
عائلة من العرب وأحاط الترك يوماً بهذه القلعة فاستغاث أهلها فخرج لنجدهم
المسيب بن بشر الرياحي التميمي من مدينة سمرقند بأربعة آلاف جندي من
جميع القبائل فلما سار بهم قال لهم : إنكم تقدمون على حلبة الترك حلبة
خافان وأضرابه من شجعان الترك والعوض إن صبرتم الجنة والعقاب النار إن
فررتم فن أراد الغزو والصبر فليقدم . فانصرف عنه ألف وثلاثمائة ثم سار
فرسخاً فقال لهم مثل ذلك فاعتزله ألف من الباقين ثم سار فرسخاً آخر فقال
لهم مثل مقالته الأولى فاعتزل ألف وسار بسبعمائة فدائي وثابت قطنة على
ميسرته .

ووصلوا الحصن فوجدوا الترك قد أجروا الماء حوله لينعوم من الخروج
فقال المسيب لرجاله : ليكن شعاركم يا محمد ، ولا تتبعوا موليا ، وعليكم بالدواب
فاعقروها وليست بكم قلة فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا
أوهنوه وإن كثروا أهلهم ودنوا من الترك وقت السحر وحدث قتال شديد صبر
فيه المسلمون ثم انهزم الترك لما قتل ثابت قطنة عظيماً من عظمائهم ، ونادى
منادي المسيب : لا تتبعوهم واقصدوا القصر ولا تحملوا إلا الماء ولا تحملوا
إلا من لا يقدر على المشي ومن حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حسبة فأجره
على الله ومن أبى فله أربعون درهماً . ثم ساروا إلى سمرقند وجاء الترك في

اليوم التالي فلم يروا في القصر أحدا ورأوا قتلام فقالوا : لم يكن الذي جاءنا من الإنس . فقال ثابت :

فدنت نفس فوارس من نيم	غداة الروح في ضنك المقام
فدنت نفسي فوارس اكنفوني	على الاعداء في رهج القتام
بقصر الباهلي وقد رأوني	أحامي حيث ضن به المحامي
بسيقي بعد حطم الرمح قدما	أزودهم بذئ شطب حسام
أكر عليهم اليعقوم كرا	ككر الشرب آنية المدام
أكر به لدى الثغرات حتى	تجلت لا يضيق بها مقامي
فلولا الله ليس له شريك	وضربي قونس الملك الهمام
إذا لسمعت نساء بني دثار	امام الترك بادية الخدام
فمن مثل المستب في تيم	أي بشر كقادمة الحمام ؟

وغزا أسد بن عبدالله القسري جبال هراة وجبال نمرون فقال ثابت يمدحه
وقد صحبه في غزواته هذه :

أرى أسداً تضمن مفضعات	تهيبها الملوك ذوو الحجاب
سما بالخيال في أكناف مرو	توفزهن بين هلا وهاب
الى غورين حيث حوى أرب	وصلك بالسيوف وبالخراب
هدانا الله بالقتلى تراها	مصلبة بأفواه الشعاب
ملاحم لم تدع لسراة كلب	مهاجرة ولا لبني كلاب
فأوردها النهاب وآب منها	بأفضل ما يصاب من النهاب
ألم يزر الجبال جبال ملح	تري من دونها قطع السحاب
بأرعن لم يدع لهم شريداً	وعاقبها الممض من العقاب

وكان من قادة العرب الذين غزوا في آسيا فاكثروا الغزو وحازوا النصر
نصر بن سيار الذي أعجب به ثابت وثابت يماي ونصر مضري فقال يمدحه :

ما هاج شوقك من نؤي واحجار	ومن رسوم عفاها صوب أقطار
لم يبق منها ومن أعلام عرصتها	إلا شجيج وإلا موقد النار

ومائل من ديار الحبي بعدهم
ديار ليلى قفار لا أنيس بها
بدلت منها وقد شط المزار بها
نقارح الترك ما تنفك نائحة
إن كان ظني بنصر صادقاً أبداً
يصرف الجند حتى يستفيء بهم
لا يمنع الثغر إلا ذو محافظة
إني وإن كنت من جندم الذي نضرت
لذاكر منك أمراً قد سبقت به
مثل الربيثة في أهدامه العاري
دون الحجون وأين الحجن من داري؟
وادي الخافة لا يسرى بها الساري
منا ومنهم على ذي نجدة شار
فيما أدبر من نقضي وإمراري
نهباً عظيماً ويحوي ملك جبار
من الحضارم سباق بأوتار
منه الفروع وزندي الثاقب الواري
من كان قبلك يا نصر بن سيار
وغزا الحرشي وهو قائد آخر من قادة الفتح - الصفد فقال ثابت قصيدة
جاء فيها :

أقر المين مصرع كارزنج وكشدين وما لاقى بيار
وديواشقي وما لاقى جلنج بحصن خجند إذ دمروا فباروا

ثابت يخالف قاداته في سبيل العدل والحق :

كان أعظم قادة العرب طراً الذين عرفتهم آسيا قتيبة بن مسلم الذي ركز
أعلامه في أرض الصين بعد أن احتل الصحارى الواسعة والجبال العالية
وقد وصل مدينة كاشغر وهي أدنى مدائن الصين واحتلها وكان عازماً
على التقدم لولا أن جاءه نبأ موت الوليد بن عبد الملك وهو خير خلفاء
الأمويين فيما بنى وعمر، وفي حربه وبره بالقادة المجاهدين ثم نبأ وفاة الحجاج بن
يوسف الذي فرض الأمن والنظام وضمن للقادة تتابع الإمدادات واتصال
المساعدات فتوقف قتيبة عن الغزو وتمثل بقول القائل :

فإن تحي لا امل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

وقد حدث إن هذا القائد الكبير غدر بقائده من قادة الترك ويسمى
« نيزك » فإنه آمنه ثم قتله بعد أن استشار أصحابه ولأن نيزك هذا غدر

بعده مع قتيبة قبل ذلك فكان قتيبة مفتاضاً منه ولم يعجب هذا الفعل من قتيبة ثابت قطنة فقال قصيدة حفظ لنا بها التاريخ هذا البيت يخاطب به قتيبة :

فلا تحسبن الغدر حزمًا فربما ترقى بك الأقدام يوماً فزلت

هذه واحدة أما الثانية فإن والي خراسان أشرس بن عبد الله دعا أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فأجابوا إلى ذلك ، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية وطالبهم بها فنصبوا له الحرب ذلك أن أشرس قال: ابغوني رجلاً له ورع وفضل أوجهه إلى من وراء النهر ، فيدعوم إلى الإسلام . فأشاروا عليه بأبي الصيदा صالح بن طريف ، فقال : لست ماهراً بالفارسية فضموا معه الربيع بن عمران التميمي ، فقال أبو الصيदा : أخرج على شريطة أن من أسلم لم تؤخذ منه الجزية ، قال أشرس نعم ، قال أبو الصيदा لأصحابه : فاني أخرج فإن لم يف العمال أعنتموني عليهم ، قالوا : نعم ، فدعا أبو الصيदा أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام فسارع الناس ، فكتب الدهاقين إلى أشرس إن الناس كلهم أصبحوا عرباً فمن نأخذ الخراج ، فأمر أشرس : بأخذ الخراج ممن أسلم فاعتزل من أهل البلاد سبعة آلاف وخرج إليهم أبو الصيदा ، وآخرون منهم ثابت قطنة مناصرين فأرسل أشرس الجهم بن مزاحم السلمي لحربهم . فكتب الجهم لأبي الصيदा أن يقدم عليه هو وأصحابه فتقدم أبو الصيदा وثابت قطنة فحبسها . وقال أبو الصيदा : غدرتم ورجعتم عما قلتم .

ثابت يهاجي بعض الشعراء :

أكثر من جرى بين ثابت وبينه هجاء حاجب بن ذبيان المازني وقد لقبه ثابت بالفيل فصار يعرف بحاجب الفيل وسبب ما جرى بينهما أن حاجباً وفد على يزيد بن المهلب بقصيدة يقول فيها :

إليك امتطيت العيس تسعين ليلة أرجي ندى كفيك يا ابن المهلب

فجد لي بطرف أعوجي مشهر سليم الشظا ، عبل القواثم سلهب
سبح طموح الطرف يستن مرجم أمر كإمرار الرشاء المشذب
طوى الضمر منه البطن حتى كأنه عقاب تدلت من شماريخ كبكب
وسابغة قد أتقن القين صنعها وأمر خطي طويل محرب
وأبيض من ماء الحديد كأنه شهاب متى يلق الضريبة يقضب
وقل لي إذا ما شئت في حومة الوغى : تقدم أو أركب حومة الموت ! أركب

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له : قد عرفت ما شرطت
لنا على نفسك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، حقي بيتة وهي قول الله عز وجل :
(والشعراء يتبعهم الغاؤون) فقال له ثابت : ما أعجب ما وفدت به من بلدك
في تسعين ليلة ، مدحت الأمير بيتين وسأله حوائجك في عشرة أبيات ،
حتى إذا أعطاك ما اردت حدث عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك
تخدعه . فلج حاجب بعد ذلك في هجاء ثابت وما قال فيه :

لا يعرف الناس منه غير قطنته وما سواها من الأنساب مجهول
استخلف ثابت مرة والياً على سمرقند فخطب الناس يوم جمعة فأرتج عليه
فقال : سيجعل الله بعد عسري يسراً وبعد عي بيانا ، وأنتم إلى أمير فعال
أحوج منكم إلى أمير قوال :

إلا أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب
فبلغت كلماته خالد بن صفوان فقال : والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه
ولو أن كلاماً استخفني فأخرجني من بلادي إلى قائله استعساناً له لأخرجتني
هذه الكلمات إلى قائلها . ولكن « حاجب الفيل » هجا بسبب هذه الحادثة
ثابتاً فقال :

أبا العلاء لقد لقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق
أما القرآن فلم تخلق لحكمه ولم تسدد من الدنيا لتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبهم فكدت تشرق - لما قت - بالريق

تلوي اللسان وقدرمت الكلام به كما هوى زلقى من شامق النيق
ولثابت أماجي في حاجب الفيل منها :

أحاجب لولا أن أصلك زيف وأنتك مطبوع على اللؤم والكفر
وأني لو أكثرت فيك مقصر رميتك رمياً لا يبديد مدى الدهر
فقل لي ولا تكذب فإنني عالم بمثلك: هل في مازن لك من ظهر؟
فإنك منهم غير شك ولم يكن أبوك من الفر الجعاجعة الزهر
فلست بهاج ابن ذبيان إنني سأكرم نفسي عن سباب ذوي الهجر
ثابت القداني :

ما عرف ثابت إلا في خراسان حيث الجبال الشاهقة التي دونها قطع
السحاب والفيافي المهلكة التي تلمع فيها سيوف الأعداء ، تلك البلاد التي لا
يسكنها إلا الخيلس العرمرم ، والفتى الذي صمم على الموت وأقدم ، امتلأت أفواء
شعابها بأكوام القتلى واختلطت مياه أنهارها بالدماء الحمراء ، فمن أقام فيها
إقامة ثابتة كثابت أقام في هات الموت وبين فكي الأسد . فهي بلاد واسعة
شاسعة ، الصين في شرقها والعراق في غربها ، فيها أمم وأجناس ذات لغات
وعادات متعددة مختلفة ، تسي قلاعها مصالحة موادة ، وتصبح معادية غادرة ،
وأشد من البلاد وأهلها ومن صحاريها وجبالها هؤلاء الولاة الذين يتبدلون كل
مدة بسيرة ، ويتغيرون حسب هوى الخليفة ، اختلفوا في عصبيتهم وقبائلهم
يضعون من كان بالأسر ربيعاً ، ويرفعون من كان قبل أيام وضيعاً ، وإن كانوا
جميعاً متفقين في شجاعتهم وحاسهم وجدهم في قتال عدوم .

في هذه البلاد عاش ثابت لا ندري متى ورد إليها ، ولكنه استشهد سنة
مائة وعشر هجرية وفي هذه الأبيات نرى كيف قدم ثابت إلى خراسان
تاركاً أهله وراءه ثم نسيهم واتخذ بدلهم من الرماح والسيوف زوجة
وأطفالاً :

ما هاج شوقك من بكاء حمامة تدعوا إلى فنن الأراك حماما

تدعو أخوا فرخين صادف ضارباً ذا غلبين من الصقور قطاماً
إلا تذكرك الأوانس بعدما قطع المطي سباباً وهياماً
لم تكن معركة في سمرقند أو بخارى أو هراة أو كاشغر إلا وشهدهما
ثابت منذ سنة ثمانين هجرية حيث بدأ التاريخ يذكر اسمه حتى سنة مائة
وعشر هجرية حيث استشهد وقد يكون ورد خراسان قبل ذلك بكثير .

نعم لقد شهد معارك خراسان كلها مع جميع أمرائها في هذه الفترة ولقد
شهدت ذلك في أخباره السابقة وفي قصائده التي ذكرتها ، ولكنه ظهر
يوم استشاده فداثياً عظيماً قصر عن فعله جميع الفدائيين من رفاقه ، وكان
ما أبداه يوم « قصر الباهلي » شيئاً قليلاً الى جانب ما حققه هنا .

حدثتك من قبل أن ثابت سجن لاعتراضه على فرض الجزية على من أعان
إسلامه ، ولما كان في السجن أقبل أهل السغد وبخاري معهم خاقان الترك
فحصروا جيوش المسلمين فأخرج أشرس ثابت قطنة من السجن بكفالة عبدالله
ابن بسطام ووجهه مع عبدالله بن بسطام في الخيل فاتبعوا الترك فقاتلهم بأمل
حتى استنقذوا ما بأيديهم ، ثم تقدم أشرس بالناس الى « بيكند » فقطع
العدو عنهم الماء ، فاصبحوا وقد نفذ مأوهم فاحتفروا فلم ينبطوا وعطشوا
فمات منهم سبعةائة عطشاً وعجز الناس عن القتال ، فمات ثابت قطنة بعبد
الملك بن دثار الباهلي فقال له : هل لك في الجهاد ؟ فقال : انظرني ريثما
أغتسل وأتحنط ، فوقف له حتى خرج ومضيا ، فقال ثابت لأصحابه : أنا
أعلم بقتال هؤلاء منكم ، وحضهم ، فحملوا على العدو واشتد القتال ، وقال
ثابت قطنة : اللهم إني كنت ضيف ابن بسطام البارحة ، فاجعلني ضيفك الليلة
فحمل وحمل أصحابه فكذب أصحابه وثبت ثابت فرمي برذونه فشب ،
وضربه فأقدم وضرب فارتت فقال وهو صريع : اللهم اني أصبحت ضيفاً
لابن بسطام ، وأمسيت ضيفك فاجعل قراري من ثوابك الجنة .

إن ثابتاً مثل ونموذج وصورة صادقة لآلاف مؤلفة من العرب الذين عاشوا
في هذه الأرض في أقصى الشرق وعاش غيرهم في أقصى الغرب بعيدين عن

الأمثال العربية في نجد

- ١١ -

٢٠٩ - أَلَّتِي أَوَّلُهُ شَرْطُ آخِرِهِ 'نور'

اللي ، الذي ، وقد استعاضوا بها عن كلمة الذي في جميع كلامهم العامي .
اذ لا يستعمل كلمة الذي الا من كان منهم متعلماً ، او في الامثال والاقوال .
التي تروى بما يقرب من صيغتها الفصيحة . والمعنى : ما كان في أوله شرط
كان آخره واضحاً حتى كأن عليه نور فلا يكون فيه مجال للخلاف والنزاع .
يضرب في الحث على الاشتراط في العقود والاعمال المشتركة قبل الشروع فيها
قال الشاعر :

ما كان أوله على شرط فأخره سلامه ^(١)

وهو من الامثال التي تستعملها العامة في مصر بهذا اللفظ ^(٢) . كما سبق
للعمامة قولهم : (الشرط نور) في القسم الاول .

أرضهم وديارهم صابرين مصابرين حتى تمكنوا من نشر الاسلام واللغة العربية
وجعلوا لهذه الأمة مكانة سامية بين الأمم ، وصفحات واسعة في التاريخ كما
يفعل اليوم أبطال الفدائيين من إخوانك في فلسطين ، فكان ثابتاً وإخوانه من
أبطالنا قد عادوا أحياء في أرض فلسطين يسطرون تاريخاً جديداً لشعبنا
الكريم .

محمد علي العبد

الكويت

(١) مجمع الامثال ج ٢ ص ٢٠٩ وفراند الخزائن ورقة ١/٨٤ ومواسم الادب ج ١ ص
١٤٧ وهو كذلك في امثال عوام بغداد لابن الطالقاني
(٢) امثال التكلمين ص ٣

الأمثال العربية في نجد

- ١١ -

٢٠٩ - أَلَّتِي أَوَّلُهُ شَرْطُ آخِرِهِ 'نور'

اللي ، الذي ، وقد استعاضوا بها عن كلمة الذي في جميع كلامهم العامي .
اذ لا يستعمل كلمة الذي الا من كان منهم متعلماً ، او في الامثال والاقوال .
التي تروى بما يقرب من صيغتها الفصيحة . والمعنى : ما كان في أوله شرط
كان آخره واضحاً حتى كأن عليه نور فلا يكون فيه مجال للخلاف والنزاع .
يضرب في الحث على الاشتراط في العقود والاعمال المشتركة قبل الشروع فيها
قال الشاعر :

ما كان أوله على شرط فأخره سلامه ^(١)

وهو من الامثال التي تستعملها العامة في مصر بهذا اللفظ ^(٢) . كما سبق
للعمامة قولهم : (الشرط نور) في القسم الاول .

أرضهم وديارهم صابرين مصابرين حتى تمكنوا من نشر الاسلام واللغة العربية
وجعلوا لهذه الأمة مكانة سامية بين الأمم ، وصفحات واسعة في التاريخ كما
يفعل اليوم أبطال الفدائيين من إخوانك في فلسطين ، فكان ثابتاً وإخوانه من
أبطالنا قد عادوا أحياء في أرض فلسطين يسطرون تاريخاً جديداً لشعبنا
الكريم .

محمد علي العبد

الكويت

(١) مجمع الامثال ج ٢ ص ٢٠٩ وفراند الخزائن ورقة ١/٨٤ ومواسم الادب ج ١ ص
١٤٧ وهو كذلك في امثال عوام بغداد لابن الطالقاني
(٢) امثال التكلمين ص ٣

٢١٠ - اللي بلاش ، مايسواش ...

اللي : الذي ، وبلاش : كلمة منجوعة من كلمتي بلاشيء ، ويسواش ، كلمة منجوعة - ايضاً - من كلمتي يساوي شيئاً ..

والمعنى : ان الشيء او المتاع الذي تحصل عليه بدون مقابل لا يساوي شيئاً في الغالب لانه لو كان فيه ما يرغب به لما ترك لك . ولذلك قالوا في مثلهم السابق في القسم الاول : اشتد طيب تردّ بفلوسك . يضرب في النهي عن شراء المتاع الرديء استرخاصاً له .

٢١١ - اللي بالقلب كافي .

اللي : الذي ، وهذا المثل في المعنى كالمثل السابق في القسم الاول : الشاهد عندي ، الا انهم يخصصونه في الغالب للاخبار عن البغض ، يريدون ان ما في قلبي من البغض لك ، او من عدم الثقة بك كاف من التماس الدليل على ذلك . أو كاف لرد ما تزعمه من حبك لي .

٢١٣ - اللي بقلبيه على لسانه ..

اللي : الذي . أي ما في خاطره من الافكار ، يظهره على لسانه ، وذلك أنه لا يخفى منه شيئاً .

يضرب لمن لا يكتف سرّاً من خلعجات نفسه . وسيأتي للعامة في معناه قولهم : ما جاء على قلبه هذى به لسانه ، في حرف الميم من هذا القسم .

هذا المثل موجود لدى العامة في مصر بلفظ : اللي في قلبه على طرف لسانه ^(١) وكذلك في لبنان ^(٢) .

(١) امثال التكلمين ص ٣١

(٢) الامثال العامة ج ص ١ ص ٨٥

٢١٤ - اللي ما عنده فلوس ، يَقْعِدِ يحوس :

اللي : الذي . والفلوس يريدون بها النقود عامة ، ويحوس : من حاس .
عندهم معناها أكثر التردد في مكان مُعَيَّن لا يستطيع ان يبرحه ، ولا
يستطيع ان يستقر فيه ويطمئن ، وأصل الكلمة فصيح ففي لسان العرب .
التحوس : الإقامة مع ارادة السفر ، كأنه يريد سفرأ ولا يهأ له لاشتغاله
بشيء بعد شيء ^(١) ، وذكر الزنجشري من الجاهز قولهم : حاستهم السنة ،
وأصابتهم سنة تحوسهم ، وتدوسهم ^(٢) .
وقولهم : يقعد ، أي يظل ويمكث .

ومعنى المثل : من لم يكن عنده نقود فإنه كالرجل الذي يظل متحيراً في
مكان معين ، لا هو يستطيع الجلوس جلوس الاطمئنان والراحة ، ولا هو
يستطيع البعد عنه أو السفر سفر المرء القاصد الى هدف معين .

يضرب في بيان أهمية النقود، وقد سبق في هذا المعنى قولهم: الدراهم يحبين
بنات الرجال .. وسبق في القسم الأول ويقول ابن فارس ^(٣) :

قد قال فيما مضى حكيم : ما المرء إلا بأصغرية
فقلت قول امرئ لبيب : ما المرء إلا بدرهية

٢١٥ - اللي ما فيه خير ، فراقه خير ..

وبعضهم يرويه : فراقه أخير ، أي أكثر خيراً ، واللي : الذي ، أي
الشخص الذي ليس في وجوده خير فراقه فيه خير ، أو فراقه أكثر خيراً
من وجوده وهذا كالمثل العربي : خل من قل خير ، لك في الناس
غيره ^(٤) ..

(١) مادة : ح ، و ، س .

(٢) أساس البلاغة : ج ١ ص ١٣٥ .

(٣) معجم الادباء ج ٤ ص ٩٣ .

(٤) المستقصى ج ٢ ص ٧٦ . ومنتخبات التمثيل والمحاضرة ص ٧ .

٢١٦ - اللّٰهِي مَا لَهُ دَارٌ ، كُلُّ يَوْمٍ لَهُ جَارٌ ..

اللّٰهِي : الَّذِي . مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ دَارًا لِلسَّكْنَى يَظُلُّ يَتَنَقَّلُ فِي دَوْرِ الْأَجْرَةِ يَكُونُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ جَارٌ جَدِيدٌ ، لَا يَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ ، وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ، وَهَذَا مِبَالِغَةٌ ، فِي كَثْرَةِ تَنَقُّلِهِ .
يَضْرِبُ فِي الْحَثِّ عَلَى تَمَلُّكِ دَارٍ لِلسَّكْنَى .

٢١٧ - اللّٰهِي مَا لَهُ لِسَانٌ ، يَأْكُلُهُ الْخَنَفْسَانُ

اللّٰهِي : الَّذِي ، وَالْخَنَفْسَانُ : الْخَنَافَسُ : جَمْعُ خَنْفَسَاءَ .
وَيُرِيدُونَ بِاللِّسَانِ هُنَا : اللِّسَانَ السَّالِطَ .

وَالْمَعْنَى مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ لِسَانٌ سَلِيطٌ يَدَافِعُ عَنْ حَقِّهِ أَكَلَتْهُ الْخَنَافَسُ الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْثَرِ الْحَشَرَاتِ هَوَانًا ، وَأَقْلَبَهَا قُدْرَةً عَلَى الْأَكْلِ .
يَضْرِبُ فِي بَيَانِهِ أَهْمِيَّةَ الْحِجَاجِ وَالْخُصَامِ بِالْقَوْلِ فِي الْحَصُولِ عَلَى الْحَقِّ أَوْ تَوْقِي الضَّرَرِ . وَسَيَأْتِي فِي هَذَا الْمَعْنَى فِي امْتَاثِهِمْ قَوْلَهُمْ : الْحَقُّوقُ تَبِي حُلُوقُ فِي حَرْفِ الْحَاءِ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ

٢١٨ - اللّٰهِي مَا هُوَ لِيكَ ، مَا يَنْفَعُكَ ..

اللّٰهِي : الَّذِي . وَمَا هُوَ لَكَ : مَا هُوَ لَكَ . وَالْمُرَادُ مَا هُوَ بِكَ أَوْ بِمَا لَكَ .

أَيُّ : إِنْ الَّذِي لَا تَمْلِكُهُ ، لَا يَنْفَعُكَ ، وَلَوْ كَانَ فِي مَتَاوَلِ يَدِكَ . وَقَدْ سَبَقَ بِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُمْ : مَالُ النَّاسِ عَارِيَةٌ .. فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ وَذَكَرْنَا عَنْدهُ قَوْلَ الْعَرَبِ : مَا سَدُّ فُفْرَكَ إِلَّا مَلِكٌ يَمِينُكَ ، وَيُرْوَى : مِثْلُ ذَاتِ يَدِكَ : بَدَلُ : مَلِكٌ يَمِينُكَ ..

٢١٩ - أَلَيْ مَا يَاطَا عَلَى مُنْخَ يَنْعَشِرُ ..

اللي : الذي . وياطا : يطاء من الوطاء حذفوا منه الهمزة كعادتهم .
والمعنى : ان الحيوان الهزيل الذي لا يطاء الأرض والمراد يمشي برجل فيها مخ
فإنه يتعثر إذا مشى ، لا يستطيع مواصلة المشي .

يضرب في أن الشخص لا يستطيع الاستمرار في النفقة من دون دخل ،
كما يضرب للشخص الذي ليس له ظهر شديد من قومه .

هذا ولعل لأصله علاقة بما نقل عن أكرم بن صيفي من أمثاله : أشرف
القوم كلنخ من الدابة ، وإنما تنوء الدابة بمخها ^(١) ..

٢٢٠ - أَلَيْ مَا يَأْكُلُكَ كِلَهُ .

اللي : الذي . والمعنى : أي شيء لا يأكلك - بمعنى أنك تقوى عليه ،
كلنهُ ، ولا تنظر الى حرمة عملك هذا أو حله . وهذا من أمثال اللصوص
وقطاع الطرق الذين كانوا كثيرين في عهود الإمارات في نجد ، ولم يعد لهم
وجود فيها الآن ، ولكن بقي المثل حياً في أفواه الناس ، يضرب للتهكم بمن
لا يفرق بين الحرام والحلال . وقد سبق من أمثالهم ما معناه : الحلال منا
حلّ باليد في القسم الأول . ونظيره من الأمثال العامية المصرية : حلال
كلناه ، حرام كلناه ^(٢) .

المدينة المنورة

محمد العبودي

(١) المعمرين ص ١٥ .

(٢) الأمثال العامية ص ٢٠١ .

الحججائر في القرن السابع الهجري على ما في حجة ابن زكينة النوري

- ٨ -

فائدة : جرى لي مع الشيخ الامام أبي محمد بن الزجاج - رضي الله عنه - في حالة سماع هذا الجزء عليه في الليلة المذكورة أني رمقت الشيخ وهو قد ضعف عن القعود ، فإنه كان غاية في ضعف البدن ، قد نهكه السن والمرض ، والسفر ، وكان لي وعاء أحمل فيه كتي ، قد سمعت ركبته به ، فنظر إلي نظر المغضب ، وأشار إلى أن استعمال مثل هذا امتهان ، وأبى من ذلك ، رضي الله عنه .

رؤيا رأيتها صادقة : رأيت في بعض هذه الليالي الكريمة ، فيما يرى النائم كأني التقط حول الكعبة في المطاف ، في جهة الزكن الأسود وزمزم ، يا قوتا ودراً وبعضه أشرف وأفخر من بعض ، فكان تصديق ذلك يوم أتيت المسجد الحرام فوجدت أبا محمد و أبا القاسم ابني الزجاج قد جلسا أمام قبة زمزم يستمع عليهما الحديث فسمعت عليهما جزء أبي العالي ، وفيه الصحيح من الحديث وما دونه ، وفيه شيء من الشعر ، فكان تأويل [.....] ذلك الواقع هناك .

[١٠٢] ذكر رؤيا رأيتها (١) ، هي من المبشيرات ، وهي عن رجاء السعادة من المعبرات :

رأيت فيما يرى النائم بمكة أو متوجها إليها ، في الطريق إليها كأني أحفر قبر النبي ﷺ ، فهبت هذه الرؤيا ، إلى أن عرضتها على بعض الأصحاب فقال لي : هي رؤيا خير - إن شاء الله - هي طلبك حديث النبي

(١) خبر هاتين الرؤيتين ملحق في الهامش وفي ورقتين غيره .

ﷺ ، وبجثك عنه . فسررت بذلك ، فلما عدت إلى المغرب اتفق ان
 طالعت كتاب « الانتقام » في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، لأبي عمر ابن عبد
 البر - رحمه الله - فوجدت فيه في (باب جامع فضائل أبي حنيفة وأخباره)
 أن أبا حنيفة - رحمه الله - رأى نحواً من هذه الرؤيا ، وإن لم أبلغ أنا ما
 بلغه أبو حنيفة في رؤياه ، فتضاعف سروري بذلك ، وأرجو أن تكون
 كناية عن حال الوقت ، وأنا - ... الله - بعد حظاً مما ناله بعد الاستقبال
 ورؤيا أبي حنيفة هي ما أنبأنا به اجازة مشافهة وخطاً أبو الحسن عبد الله بن
 أحمد بن عبد الله الفرضي ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله
 النفري (؟) قال : أنا أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي (؟) إجازة قال :
 أنا أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح بكتابه ، أنا خالي أنا عبد الله بن أحمد بن
 محمد الخولاني ، أخبره اجازة إن لم يكن سمعاً قال : أنا الفقيه الحافظ أبو عمر
 ابن عبد البر ، الذي اجازني في جميع تصانيفه وفي رواياته ، قال أبو عمر
 - رحمه الله - : أنا حكيم بن منذر (؟) قال أنا أبو يعقوب : يوسف بن أحمد
 - وذكر جملة أخبار ، ثم قال - قال أبو يعقوب : وقال أحمد بن الحسن
 الدينوري قال : أنا القاسم بن عبادة قال أنا صالح بن محمد بن يوسف بن رزين
 عن أبي حنيفة قال : رأيت في المنام كأنني نبشت قبر النبي صلى الله عليه وسلم
 فأخرجت عظامه فاحتضنتها ، قال : فهالني هذه الرؤيا فرحلت إلى ابن
 سيرين فقصصتها عليه فقال : إن صدقت رؤياك لتُحييَن سنة نبيك محمد
 صلى الله عليه وسلم . وأنا أحمد بن منذر قال أنا القاسم بن عبادة قال : ذكر
 لي عن محمد بن شجاع نحو هذا الخبر في الرؤيا إلا أنه قال فيه : ففعلت بولف
 عظامه وقيمتها - ثم ذكر مثله - وأنا أحمد بن الحسن قال أنا شعيب بن أيوب
 قال : أنا عبد الحميد بن يحيى الحماني ، قال أنا يوسف بن عثمان الصباغ قال :
 قال لي رجل : رأيت كأن أبا حنيفة ينبت قبر النبي صلى الله عليه وسلم
 فسألت عن ذلك ابن سيرين ولم أخبره عن الرجل فقال : هذا رجل يحيي
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو عمر : وحدثنا حكم بن منذر بن
 سعيد قال : أنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد قال : أنا محمد بن علي السمناني (؟)

قال : نا أحمد بن محمد بن العباس بن يزيد قال : نا القاسم بن عباد . قال محمد ابن عبد العزيز بن ابي رزمة قال : قال ابو يوسف : كنا نختلف في المسألة [٣٠٣] فنأتى أبا حنيفة فكأنها يخرجها من كمه ، فيدفعها إلينا . اهـ . قلت هذا من تأويل رؤياه الصادقة .

ونحو من هذه الرؤيا ما اخبرنا الشيخ الاديب الحبيب اللغوي ابو محمد القاسم بن محمد الهوزني (٢) الاشيلي في غرناطة قدمها علينا من افريقية ، كان مجزلاً حظه من تعبير الرؤيا ، يأتي من ذلك بدقائق غرائب وعجائب ، ولم يكن تمكنه في العلم بذلك . فقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال لي : كنت رأيت بأشبيلية ، وأنا صبي صغير نحيف ، أحمل على عنق الغلام ، فيما يرى النائم ، كأني في روضة النبي ﷺ ، ورأيت في جانبها طاقاً أتقاصر عن إدراكه ، والناس يتواردون عليه فيدخلون أيديهم في ذلك الطاق ، ويخرجون نعماً يلتقمونها ، فرمت ذلك فلم تدركه يدي ، فاخذت قصبة وجعلت أبلأ أسفلها بريفي وأدلتها من ذلك الطاق ، ثم أخرجها ، فأجد في أسفلها تراباً قد علق بها فابتلعتة (؟) ثم أعيد تلك القصبة ، فعلت ذلك الفعل مرات ، واستيقظت ، وقد وعيت الرؤيا فقصتها على أبي فقال : هل أعلمت أمك بذلك؟ قلت : لا . قال : واستدعي غلاماً لنا فحملني على عنقه مع أبي - رحمه الله - إلى المعبّر المشهور بأشبيلية المعروف بالحنتمي ، وكان يأتي في التعبير بأموور يُعجز عن إدراك فهمها ، فقصصت عليه . فقال يا بني : التراب تراث ، وهذا القدر الذي نلت من تراثه ﷺ نزر يسير ، وأرى ذلك أنك تؤتى حظاً من علم التعبير ، فصدق تأويله - رحمه الله - .

ومن غريب ما جرى للشيخ أبي محمد - رحمه الله - من التعبير الغريب وأنا بغرناطة أنه جلس في بعض العشيات مع قاضي الجماعة أبي بكر الاشبرون (؟) الأشيلي وكان بينها صحبة وصداقة ببلدهما اشبيلية فقال له القاضي : إني رأيت البارحة أني أقرأ من أول (ياسين) إلى قوله تعالى : (والقمر قدرناه منازل ، حتى عاد كالرجون القديم) فقال له أبو محمد :

تميش من ليلة الرؤيا ثمانياً وعشرين ليلة ، أو مثلها 'جمعاً' ، أو مثلها شهوراً . فقال له القاضي - وكان قد نبتف على الثمانين - : أو مثلها سنين ؟ فقال : لا يحتمل عرك ذلك ، ثم قطع الخصوم بينها الكلام ، فلما كان في الثامنة والعشرين حكم في الجامع الى أن غربت الشمس ، وكان قوياً صحيحاً ، وتوجه الى منزله ، فبات فجأة ، بعد العشاء الآخرة - رحمه الله -

فائدة أخرى ^(١) : لقيت بالحرم الشريف بعض العلماء الوافدين في الركب ، وأخبرني باسمه فأنسيته ، ولم أره قبل ، ولا بعد ، فجرى الكلام معه في الطواف بالبيت لم شرع فعله على اليسار ؟ فذكرت بعض ما قيل فيه فقال : إنما ذلك لأن الطائف بالبيت مُصَلٍّ بالكعبة ، ومن شأن الامام إذا اتم به المفرد أن يقف عن يمين الامام ، وهو يسار المأموم ، وهذا الذي قاله هذا الفاضل - ذكره الله في الصالحات - حسن جميل ، ويحتمل عندي أن يكون ذلك لأن يكون ابتداء حركة الطائف على يمين نفسه ، بخلاف لو جعلها على يمينه ، فإنه يكون ابتداء حركته على يساره ، وقد وقع لبعض الصوفية في ذلك إشارة حسنة ضمتها شعراً ، وهو ما أخبرناه [١٠٤] أنا الشيخ الصالح المقرئ أبو عبد الله محمد بن عياش القرطبي نزيل مالقة ، معينا (٢) لما اشتمل على هذا القصيد ، قال : أنا القاسم بن الطيلسان سمعاً عليه ، قال : أنشدنا سمعاً عليه الفقيه الحاج الزاهد الورع الصوفي العابد أبو جعفر أحمد بن غالب البياني (٩) في الجامع بقرطبة قال : أنشدنا الواعظ الحافظ أبو بكر الاطرابلسي على منبره ، بحرم الله الشريف تجاه الكعبة المعظمة سنة ثمان وثمانين وخمس مائة ، لنفسه ، وقد سأله سائل : لم كان الطواف بالكعبة على الشمال ، والسنة في العبادات التيمن ^(٣) ، وكان رسول الله ﷺ يحب التيمن في شأنه كله ؟ فأُشيد - مجابياً له بعد يوم - :

إنما الكعبة في ضرب المثال كمروس 'جليت' بين رجال
فاستحمت منهم ، ففطت وجهها بكفٍ وخار ، ودلال

(١) بقية الصفحة التي أولها (عبيد بن محمد الحافظ) وقد ألحق بها حواش وصفحتان نقلناها .

(٢) في الهامش : (المعروف : التيمان) .

وثياب 'كحل' ، نوريسة	دَلُّوها ، فتناهت في الدلال
وادي ^(١) ابراهيم كرسى لها	ثم نصّوا شخصها بين الجبال
تاجها ميزانها ، إكليلها	ما علاها من بهائم وجمال
زمزم خادمها زمّلها	مشعل الحسن فتاهت في الكمال
وإذا طاف بها عاشقها	ردّها من مرج (؟) على الشمال
فيه سر ، ليكون قلبه	أقرب الأشياء منها للوصال
هي أم الحج ، لا شك ولا	ريب في الحج ، ولا فيه جدال
هي أم الخلق ، منها وُلِدوا	وهي لا حمل لها ، ولا فصال

ولما اكملنا حجبنا وعمرتنا طفنا طواف الوداع ، داعين الله تعالى أن لا يجعله آخر العهد بتلك الأماكن الشريفة ، والعرصات المكرمة المنيفة ، وكنت حين القدوم أردت دخول البيت - شرفه الله - فنعني حجّته إلا بعد إعطاء ما يرضيهم ، مما يندل لهم ، فكان قد حضرني بعض الشيء ، فما طبخت نفساً بإهدائه لهم ، فأبوا قبوله ، استنزاراً منهم له ، فرأيت ألا أعينهم على اتخاذ بيت الله مغرماً ، وأن لا أشاركهم فيما ارتكبهوه^(٢) مأثماً ، فلما حان الرحيل وزممت المطايا ، ولم يبق من السفر إلا القليل ، كنت فيمن تأخر ، فألفيت البيت قد تركوه مفتوحاً [١٠٥] فاغتنمت دخوله. وأنلت القلب من ذلك سؤله ، اللهم أتم علينا نعمتك ، وابسط علينا رحمتك ، وودعت البيت ، واخذنا في الرحيل ، راغبين الى الله في التيسير والتسهيل .

ذكرت بدعة عظيمة أحدثتها العامة ، قد عاينّا بعضها ، وعلمنا ما لم نعاين . وقد بين ذلك الامام ابو عمرو بن الصلاح - رحمه الله تعالى - فقال : وقد ابتدع من قريب بعض الفجرة الختالين في الكعبة المكرمة أمرين باطلين : أحدهما ما يذكرونه من العروة الوثقى ، ووقعوا في [...] العامة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى ، فأحوجوهم إلى ان يقاسوا إليها شدة وعيشاً ، ويركب بعضهم فوق بعض ، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ، ولا يست الرجال ،

(١) في الهامش : (أراد به صحن المقام ، وفوق كلمة وادي (صح) .

(٢) في الاصل : (اتخذوه) وفي الهامش : (ارتكبهوه) .

أو لابسوها، فليحقم بذلك أنواع من الضرر ديناً ودنياً. والثاني : مَسْمَارٌ في وسط البيت ، وَسَمَوهُ سُرَّةُ الدُّنْيَا . وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم عن سُرَّتِهِ ، وينبطح بها على ذلك الموضع ، حتى يكون واضعاً سُرَّتَهُ على سُرَّةِ الدُّنْيَا، قاتل الله واضع ذلك ومختلقه ! وهو المستعان قلت : ومن الحوادث الشيعة . طواف النساء ليلاً بالشمع في أيديهن سافرات عن وجوههن ، عانيتا من ذلك ما 'يحزن' ، وغيرنا منه المستطاع باطفاها في أيديهن ، والله تعالى المسؤول ان يمن على المسلمين بمن يدفع البِيدع ، ويحيي من الدين ما انكسر ، ويلم منه ما انصدع ، بمنته وكرمه . اللهم أوزعنا شكر نعمك ، وأفض علينا واكب كرمك ، واصحبنا في سفرنا ، وكن معنا ، ولا تكلنا الى حولنا وقوتنا طرفة عين ، انك المنعم الكريم الوهاب .

وحين أثرت الجمال ، وتنادى الناس بالترحال - وكان قد خرج معنا عازماً على السفر صاحبنا وأحد رفاقنا الفقيه الفاضل الصوفي الاديب (?) المتخلق أبو محمد عبدالله بن عمران البسكي - نفع الله به - وكان قد أنفق ما عنده جوداً وسخاء ، حتى لم يبق الا مصحف يقرأ فيه ، وأثواب [١٠٦] ليس لها كبير قيمة ، وسليخة يفترشها - نشأت عنده - نفع الله به - عزيمة امضاها ، وسعادة قضيت له في الأزل فقضاها ، في المقام في تلك المشاهد الكريمة ، والمعاهد العظيمة ، وكان أيسر شيء عليه النظم فأخذ بعض الاصحاب في كسر عزيمته عليه وتصعيب المقام دون سبب يرجع اليه - فارتجل جملة أبيات سمعناها منه ، فعلق بحفظي منها :

عليكم سلام الله ، إني عائد الى حيث لا أخزى ، ولا أتندم
الى حرم فيه لقوم هداية وفيه لأرباب المطالب زمزم
ومن عرف الرزاق سكن سره (?) ودرّ عليه الرزق من حيث يقسم

ثم ودّعناه ، وعاد الى خير معاد ، وهو الآن مقيم بها ، مغبوط الحال محمود الحال ، تقبل الله جوارحه ، وأجاب في تلك المعالم الشريفة جوارحه ، وكان - نفع الله به - قد ركب البحر معنا من حضرة تونس - حماها الله

تعالى - ومن نظمه ما أنشدناه بعض أصحابنا عنه ، ان لم يكن سمعناه منه :

أملت رؤيتكم ، وكانت مقلتي تروى الى شيء من الاعراض
فأبت جلالة قدركم ما رُمته حتى تطهرها يد الأمراض

خاطب بهذين البيتين صاحبنا ورفيقنا أيضاً في هذه الوجهة ، الأديب الصوفي المحقق ، الفقير المتخلّق ، أبا محمد عبد الله بن الوزير أبي عبد الله الطبروي (؟) الشريشي المولد ، السبق المنشأ ، ثم التونسي ، وكان قد [١٠٧] قدم تونس - حماها الله - وأراد رؤيته ، فاعتراه رمدٌ منعه عن رؤيته ، فلما عوفي من مرضه وتلقاها قال هذين البيتين ، وأنشدني له بعض أصحابنا :

أهلاً وسهلاً بالذين أحبتهم وأحسبهم مني بمنزل ناظري
قوم إذا ذكروا حديث نبيهم لم يخرجوه عن المراد الظاهر

رؤيا صالحة ، تدل على أعمال له ناجحة :

أخبرني رفيقي الوزير أبو عبد الله ابن أبي القاسم قال : ' كنّا بمكة جلوساً مع صاحبنا أبي محمد البسكري ، وأبي محمد الطبري ، قال : فأغضى الطبري فاستيقظ متعجباً فقال : رأيت الساعة عيناً تتبع في بيتنا ، أو عندنا في الأرض ، وقطر ينزل عليها من السماء مسامناً لها قال : فمدت أبو محمد البسكري يده من كمته وأخرج وانشمه (؟) في يده وهو يحركها فقال : هذه هي العين النابغة . صدق صلى الله عليه : « إنه لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل الصالح ، أو تروى له » .

ذكر سفرنا من مكة شرفها الله ، قافلين الى طيبة ، زادها الله طيباً

رحلنا من ظاهر مكة - شرفها الله - بعد ظهر يوم الاثنين الخامس عشر لذي حجة ، راغبين الى الله تعالى في القبول ، مزعمين بمشيئة الله على العود إلى حضرة الرسول ، داعين ببلوغ السؤل ، فما زلنا نسير منزلاً منزلاً ، متعرضين

للبركة في كل إقامة وحركة ، إلى قريب الفجر من الليلة الخامسة والعشرين ، وقد شارفنا المدينة - شرفها الله - فنزل مطر وابل ، ولعلت بروق ملأت ما بين السماء والأرض ، وعشيت الجمال ، وماد بعضها على بعض ، حتى انقطعت الأنساع ، وتكسرت الهوارج ، وعائناً أمراً هائلاً ، كهول البحر حالة اغتلامه ، فوقف الناس ساعة عن المسير ، ثم أدبل من العسر اليُسْر ، وأشرق الفجر ، وسرنا - حامدين الله شاكرين - إلى أن وافينا المدينة - على ساكنها الصلاة والسلام - عشي يوم الخميس ، من صبيحة اليوم الخامس والعشرين .

ولما وصلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار ، واحتدم الشوق لقرب المزار ، وكان صاحبي ورفيقي الوزير الفاضل ، الأديب الحافل ، الماجد الكامل ابو عبدالله - منحه الله العافية ، ومسح عليه يمينه الشافية - قد أصابه رَمَدٌ ، فعند معاينة تلك المعاهد الكريمة أحس بالشفاء من ألمه ، فبادر إلى المشي على قدمه ، احتساباً لتلك الآثار ، وإعظاماً لمن حل تلك الديار ، وأنشدنا لنفسه في وصف الحال ، وكتبه لي - بعد - بخطه :

ولمّا رأينا من ربوع حبيبنا يثرب أعلاماً أثّر لنا الحبّاً
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا شفيناً ، فلا بأساً نخاف ولا كرباً
وحين تبدّئ للعيون جمالها ومن بعدها عنا أدبنا لنا القُربى
نزلنا عن الأكوار ؛ نمشي كرامة لمن حل فيها ان نلّم بها ركبنا

ولما قضينا واجب السلام على خير الأنام ، وصاحبيه المعظمين المقدمين في الصحب الكرام ، المخصوصين بما لم يخص به أحدٌ من أهل الاسلام ، [١٠٨] عدنا إلى رحالنا .

وكانت إقامتنا هناك بقية يوم الخميس ، ويوم الجمعة بعده ، ويوم السبت ، وصدر يرم الأحد ، تتردد إلى الصلوات ، وإلى تحيته - ﷺ - وصاحبيه - رضي الله عنها - بأكرم التحيات .

(١) في الهامش فوق كلمة أدبنا : (صح) .

مع أبي الفرج الأصفهاني في كتاب «الأغاني»

- ٢ -

تمهيد :

منذ بدأ اتجاهي لدراسة كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الاصبهاني .. والاطلاع على ما يقع تحت يدي من كتب أو دراسات عنه .. وجدت نفسي في خضم متلاطم الأمواج من الآراء عن هذا الكتاب الخالد . وهي آراء .. يمسك بعضها برقاب بعض .. حيناً في لطف وهدوء .. وحيناً آخر في قسوة وعنف !!

ورأينا من فعل الوافدين أنهم إذا فرغوا من الصلاة أدارت الصفوف كلها أعناقها الى أيسارها ، وقالت برفيع من أصواتها : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ولم نَرَ من ينكر ذلك الفعل ، ولا ببلغنا أيضاً فعله عن السلف - رضوان الله عليهم - فأنا لا أنكر ذلك ولا أراه (؟) .

ذكر بعض ما جرى لي هنالك :

قرأت مكتوباً في وجه الخزانة الكريمة ، التي تقابل المتوجه إلى الروضة الكريمة ، وهي التي يضع الناس فيها الكتب الواردة بالتسليم عليه ، ^{صلى الله عليه} هذين البيتين :

سعدتم به ، يا زائرين ضريحه أمينتم به يوم المعاد من الرجس
سلمتم وأضحيتم بأكناف (طيبة) فطوبى لمن يضحي بطيبة ، أو يُسي
وبلغني أن هذين البيتين من كلمة لحمد بن رشيد - بفتح الراء وكسر الشين - البغدادي الواعظ ، وهذه الخزانة الموضوعة في هذا الموضع كأنها قصد بها ألا يستقبل المصلي شيئاً من الروضة الكريمة ، ولذلك بنيت من الجهة الجنوبية على زاوية حادة لئلا يستقبل المصلي منها شيئاً . والله أعلم .

(للبحث صلة)

مع أبي الفرج الأصفهاني في كتاب «الأغاني»

- ٢ -

تمهيد :

منذ بدأ اتجاهي لدراسة كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الاصبهاني .. والاطلاع على ما يقع تحت يدي من كتب أو دراسات عنه .. وجدت نفسي في خضم متلاطم الأمواج من الآراء عن هذا الكتاب الخالد . وهي آراء .. يمسك بعضها برقاب بعض .. حيناً في لطف وهدوء .. وحيناً آخر في قسوة وعنف !! ..

ورأينا من فعل الوافدين أنهم إذا فرغوا من الصلاة أدارت الصفوف كلها أعناقها الى أيسارها ، وقالت برفيع من أصواتها : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ولم نَرَ من ينكر ذلك الفعل ، ولا ببلغنا أيضاً فعله عن السلف - رضوان الله عليهم - فأنا لا أنكر ذلك ولا أراه (؟) .

ذكر بعض ما جرى لي هنالك :

قرأت مكتوباً في وجه الخزانة الكريمة ، التي تقابل المتوجه إلى الروضة الكريمة ، وهي التي يضع الناس فيها الكتب الواردة بالتسليم عليه ، ^{صلى الله عليه وسلم} هذين البيتين :

سعدتم به ، يا زائرين ضريحه أمينتم به يوم المعاد من الرجس
سلمتم وأضحيتم بأكناف (طيبة) فطوبى لمن يضحى بطيبة ، أو يُسي

وبلغني أن هذين البيتين من كلمة لحمد بن رشيد - بفتح الراء وكسر الشين - البغدادي الواعظ ، وهذه الخزانة الموضوعة في هذا الموضع كأنها قصد بها ألا يستقبل المصلي شيئاً من الروضة الكريمة ، ولذلك بنيت من الجهة الجنوبية على زاوية حادة لئلا يستقبل المصلي منها شيئاً . والله أعلم .

(للبحث صلة)

لقد وجدت بعض الباحثين ممن تصدوا للتأليف أو الكتابة عن كتاب
« الأغاني » وصاحبه يغالون مغالاة شديدة في تقويمهم للكتاب وصاحبه .
ووجدت الآخرين يميل منهم فريق الى العنف والقسوة على أبي الفرج ..
وفريق آخر يميل الى الاتزان والعدل .. أو بالأصح يميل الى البحث العلمي
المجرد .

والحق يقال انني وجدت - خير ما وجدت - بما وقع تحت يدي من
مؤلفات عن أبي الفرج الاصبهاني ، وكتابه الاغاني .. كتاب الدكتور محمد
أحمد خلف الله « صاحب الاغاني : أبو الفرج الاصبهاني الرواية » خير كتاب ،
وخير مؤلف ، وخير باحث ودارس لهذا المؤلف الخالد .. ودعك من انه لم
يستوف بحثه كاملاً .. فهو - مثلاً لم يتعرض لمصادر أبي الفرج إلا من نواح
غير كافية أو غير مستوعبة كما لم يتعرض لها - أي المصادر - أي كاتب أو مؤلف
من قرأت لهم ، ولكن بصرف النظر عن ذلك يعتبر - من وجهة نظري -
احسن كتاب اطلعت عليه عن كتاب الاغاني وصاحبه .. لأن شخصية مؤلفه
واضحة بارزة - وكدت أقول طاغية - من خلال النصوص التي أوردها ،
ومن خلال فهمه لهذه النصوص .. ومن خلال تعليقه لها أيضاً .

ان الرجل قادر قدرة طاغية من خلال تصديه لهذا الموضوع .. فهو تصد
لو بحث الاصبهاني لراعه منه ما راعني ..

وعلى هذا الكتاب اعتمدت بقدر وافر من الاعتماد في سبيل التأكد من
وجهات النظر التي كونتها عن أبي الفرج وكتابه الاغاني من قبل !!

وكنت قبل ذلك قد اطلعت - مثلاً - على كتاب « أبو الفرج الاصبهاني
وكتابه الاغاني » للاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي .. المصحح بدار الكتب
المصرية ، وهو كتاب على غاية كبيرة من الجودة . من حيث الجمع .. أقول
من حيث الجمع ، ومن حيث الجمع فقط .. إذ قد جمع طائفة لا يستهان بها
من النصوص والآراء لقدماء ومحدثين عن كتاب الاغاني .. وقد راجعت
بعض ما يهمني من تلك النصوص في مظانها فوجدت الرجل دقيقاً أميناً في
النقل .

أما من حيث شخصية المؤلف ، وبجمل رأيه .. فهو على ناحية من الضعف مؤسفة .. إذ ما كنت أتصور ان من يستطيع القدرة على هذا الجمع يكون بهذا القدر من الضعف والخذلان في رأيه !!

وانت اطلعت أيضاً على كتاب « أبو الفرج الأصبهاني » للاستاذ شفيق جبري وهو كتيب صغير من سلسلة (نوابع الفكر العربي) وهي في رأيي - مع احترامي للقائمين على شؤونها وللستاذ شفيق جبري أيضاً - سلسلة غايتها التجارية ، أو على الأقل الشعبية ، واضحة جداً .

واقبل ما يدل على رأيي هذا ضالة حجم الكتاب - سواء كتاب شفيق جبري أو غيره من السلسلة - في نفس الوقت الذي تتصدى فيه كتب هذه السلسلة لموضوعات هامة ؛ ولكن لا شك ان هذه السلسلة تؤدي دوراً لا بأس به على مستوى الثقافة الشعبية .. أو الثقافة العاجلة .

أما على صعيد البحث فذلك ما لا ترقى اليه هذه السلسلة (نوابع الفكر العربي) !. وقرأت أيضاً كتاب « علوم الحديث ومصطلحه » للدكتور صبحي الصالح .. وهذا الدكتور يبدو لي شديد الاختصاص بموضوعه .. أو بموضوع كتابه هذا .. فأنني سبق أن درست - على طريقتنا .. القديمة - علم مصطلح الحديث ...

وبقدر ما كانت دراستي لهذا العلم دراسة قديمة - وان كنت ما أزال في مستهل شبابي .. - كان اعجابي فائقاً بالدكتور صبحي الصالح . لا لشيء الا لأنه يمرض علم (مصطلح الحديث) بأسلوب عصري جذاب .. لا يستغنى عنه القدامى .. ولا يملك الشبان أمثالي إلا التطلع اليه !!

وهذه ليست كل مصادري عن كتاب « الأغاني » .. فبالإضافة إلى الكتاب نفسه الذي قرأته مرات لا تقبل عن اصابع اليد الواحدة ، ولا تزيد .. فضلاً عن مقالات ودراسات . وعن أخبار مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ العربي .

ولست أدري ما الذي دعاني إلى الاستطرد في هذه المقدمة بهذا الشكل .
إذا لم يكن الشأن هو انني من الذين لا يحملون درجات علمية - كاجستير ،
ودكتوراه .. و . والنخ - وأن هؤلاء الذين يحملون هذه الدرجات لا
يؤمنون - أو لا يكاد بعضهم - يؤمن بغيرهم من خلق الله الذين ابتلام -
سبحانه وتعالى - بحب الاطلاع والقراءة !!

وذلك بحجة إن الذين ليست لديهم مؤهلات أو شهادات لا يستطيعون
الخوض في البحوث بطرق علمية ومنهجية !!..

وأما بعد : فإنني سأنتجه فوآ الى موضوعي « الأغاني وصاحبه في ميزان
الرأي بين قدماء ومحدثين . »

يذهب بعض الأدباء بكتاب « الأغاني » مذاهب بعيدة حيث يعتبرونه
حجة من الحجج المطلقة .. وخاصة فيما يسنده من الروايات .. فإن الروايات
المسندة شيء فائق ، في نظر كثير من أغبياء الباحثين . أو المتأدبين .. أو
ادعياء البحث والأدب ..

ومن ذلك قول صاحبنا المشار اليه آنفاً الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي
في كتابه « ابو الفرج الاصفهاني » ، وكتابه الاغاني ، ص ١٠٩ : (والاغاني
لا يعتبر اهم مرجع للتاريخ الادبي إلى القرن الثالث الهجري ، فحسب ،
بل يعتبر كذلك اهم مصدر لتاريخ الحضارة الاسلامية للدولتين الأموية
والعباسية)

وهذا القول من الأقوال التي ظاهرها الرحمة ، وباطنها المذاب .. فانه من
الصحة بمكان ان يكون كتاب الأغاني من أهم مصادر تاريخ الحضارة الاسلامية
للدولتين الاموية والعباسية .

ولكن - وهنا مربط الفرس - لا يمكن لكتاب « الأغاني » أن يرقى الى
هذا المستوى بشكله الحاضر ، او بنصوه أو رواياته المسندة أو غير المسندة ..
فان ذلك كله مما يشول في كفة البحث المجرّد .. وإنما يستطيع الباحث
الحديث أن يرقى بكتاب « الأغاني » الى أكثر من هذا المستوى .. إذا هو

تصدي لقراءته ، وفهمه ، ومقارنة نصوصه بغيرها .. وألم بمصادره وميوله واتجاهاته .. يستطيع من ثم ان يستخلص لنا منه العلم الجزيل بشكل يلائم الذوق العصري الحديث .

وارجو الرجوع الى ص ١٧٥ من نفس كتاب الاستاذ عبد الجواد الاصمعي إذ إن ما أسلفته هو بالقرب من رأي الدكتور طه حسين الذي يقول عنه الاصمعي في نفس الكتاب : (أدامه الله ذخراً للعلماء والادباء) ويقول الدكتور طه حسين أيضاً : أما نحن فأشد من هؤلاء القدماء طمعاً ، وأكثر منهم تحفظاً .. ولا تكفينا أسماء الثقات من الرواة [فما بالك بغيرهم ممن ليسوا من الثقة في شيء ؟] ولا يكفيننا جمال القصيدة وجودة المقطوعة ، وإنما نريد ان نتخذ كل شيء موضوعاً للبحث والنقد والتحقيق والتحليل ، ولا نكاد نفرق في ذلك بين الأدب والعلم ، ونحن محقون لأننا لا نبتغي من الادب والتاريخ رواية الاعاجيب والعظات ، ولا ارضاء الذوق والميل الفني ، وإنما نتخذ الأدب والتاريخ مرآة للأمم وسبيلاً الى فهم حياتنا العقلية والشعرية والى فهم ما خضعت له من ألوان النظم المختلفة ^(١) .

أجل هذا هو الرأي .. ولا يمكن بدون ذلك ان يعتبر كتاب الاغاني : (أهم مصدر للحضارة الاسلامية للدولتين الأموية والعباسية) كما يقول الأستاذ الاصمعي ..

ثم هو نفسه أيضاً يضيف في كتابه - ص ٢٨٠ - قوله : (ويعتبر كتاب الاغاني أول المراجع التاريخية والادبية الكبيرة التي تغلب عليها صحة النقل ، وتحري الصواب) .

انني لا أملك ، ولا أستطيع ان املك إلا العجب من أسئال هذه الاقوال (صحة النقل وتحري الصواب) مع ان مؤلف « الاغاني » نفسه لا يزعم لنفسه .. هذه الصعلة ولا ذلك التحري .. بل هو - أي الاصمعي نفسه - قد نبه وأكد على أنه يحرص في كتابه على جمع كل ما قيل في بابة كتابه ..

(١) راجع نفس الكتاب ص ١٧٦ .

لا يكاد يهيم صدق ما يجمع من كذبه .. فانما هو رواية .. ولم يكن له شأن المؤرخ في (صحة النقل وتحري الصواب) ..

وقد نص في أكثر من موضع من كتابه أنه يكره أن يخلو الكتاب من شيء قد رواه ودونه الناس ^(١) .

ونص على أنه : (يكره أن يؤثر عنه في هذا المعنى ما يبقى على الأيام مخلداً ، واليه على تناولها منسوباً ، وإن كان مشوباً بفوائد جمة ، ومعمان من الآداب شريفة ^(٢))

وإذا كان ينبه أحياناً إلى أن هذا الخبر أو ذاك : (الصنعة فيه واضحة أو مكذوب) فقد قلنا في بحث سابق : أنه إنما يفعل ذلك لا لغاية التحقيق ، وتحري الصواب بقدر ما هو إبراز لمكانته في علم الرواية - وهو بحق كذلك - ولكن لم يكن من غايته في كتاب الأغاني سوى (الامتاع والمؤانسة) وإن ما يأتي : (في كل فصل من ذلك ينتف تشاكلة ، ولمع تليق به ، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها من فائدة إلى مثلها ، ومتصرفاً فيها بين جد وهزل ... الخ ^(٣))

وأشار كذلك في مقدمته أنه يعرف أن : (في طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجد ، وكل منتقل إليه أشهى إلى النفس من المنتقل عنه ، والمبتكر أغلب على القلب من الموجود ^(٤))

وارجو أن تضعوا خطأ تحت العبارة الأخيرة وهي (والمبتكر أغلب على القلب من الموجود) ضموها خطأ ... ثم اقرأوا معي هذه الفقرة من كتاب « تأريخ الأدب العربي » للمرحوم مصطفى صادق الرافعي ص ٢٨٣ ج ١ - :

(١) راجع مثلاً ص ١٧ ج ١ من الأغاني .

(٢) ج ١٨ ص ١٦١ الأغاني

(٣) من مقدمة الاصبهاني .

(٤) ج ١ ص ١٥ الأغاني .

(أما القصاص فلأنهم كانوا يميلون وجوه القوم اليهم ، ويستندون ما عندهم بالمناكير والغرائب والأكاذيب من الاحاديث ... وللقوم في هذه الفنون الاكاذيب العريضة ، والاخبار المستفيضة)

وان الذي لا شك فيه ان الاصبهاني قد حاول جاداً أن يميل وجوه القوم اليه - خاصة وان باعث تأليف كتابه كان يطلب من رئيس - واتي بمناكير وغرائب واكاذيب من الاحاديث .. ينص هو نفسه على كذب بعضها .. ولكنه يوردها لا لشيء إلا لأنها قيلت .. وإلا لأنه يحرص الا يفوته أي شيء مما قيل ، وان كان كذباً .. ذلك لأنه يحرص ان يستند ما عند القوم - على طريقة القصاص - ولو بالأكاذيب العريضة والاخبار المستفيضة . !!

وهل هناك أكثر استفادة من روايات ابي الفرج وأخباره ؟

ثم ان ابا الفرج من المتفوقين في الاسلوب ، والحبكة ، والابداع الفني والادبي لذلك أجد نفسي ملزماً بالاشتراك في الرأي مع الدكتور أسد رستم حيث يقول : (ولا نرى بداً في هذه المناسبة من مصارحة المؤرخ المستجد بأن شكنا في عدل الراوي يتناسب أحياناً كثيرة مع تفوقه في الإبداع الفني والادبي .. فكما ازداد الراوي ابداعاً في أسلوبه الادبي ازدادنا شكاً في عدله (١)) !!

ترى من من الرواة يملك الابداع في الاسلوب الادبي كما يملك الاصبهاني؟؟
والحق انه لا يمكننا مواخذه الاصبهاني بسبب ذلك .. فهو قد تبرأ .. بل طالبنا بعدم مواخذه بهذه الأسباب ، ما دام قد نبه الى طريقته في جمع الكتاب وتأليفه .

ولكننا نورد هذه النصوص ، والأقوال ، والآراء بقدر ما نريد أن ننظر

(١) كتاب مصطلح التاريخ ص ٦٥ .

في كتاب « الأغاني » نفسه .. كأثر بارز من تراثنا الضخم .. تلزمنا دراسته ولا شيء يمنعنا من ابداء الرأي فيه .

وبين أيدينا الآن - بالإضافة الى ما تقدم - طائفة من الآراء لقدمسماه ومحدثين ممن لهم ثقل في ميزان الرأي .. وسأحاول ابداء رأيي متى لزمني ذلك ، في سبيل المقارنة والاستنتاج والحصول على نتيجة تستوجب إبداء الرأي .

١ - قال النونجي فيه ، وهو من معاصريه : (كان أبو الفرج الاصفهاني أكذب الناس . كان يدخل سوق الوراقين ، وهي عامرة بالذكاكين المملوءة بالكتب فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها ^(١)) .

وقد علق شفيق جبري على ذلك بقوله : - (يسلم صاحب الأغاني خمسين سنة من تأليف كتاب الأغاني .. ويتبع فيه الصدق ، وشدة التوقي على قدر الامكان . فيجهد نفسه في البحث عن أصح الأخبار والروايات والأحاديث ، ويتبرأ فيها من كل عهدة ، وبجانب الرواة على الأكاذيب والخطأ .. يؤاخذهم بكل تحامل وحق وسب وشم وتجهيل . فيجيبه أحد النقاد فيقول : انه أكذب الناس دون أن يكلف نفسه بيان موطن من مواطن هذا الكذب ^(٢)) .

فأما قول النونجي : (كان أبو الفرج أكذب الناس) فإننا لا نملك من الأدلة ما يدحض هذا الزعم أو يثبت به شكل قاطع ، وأما أن روايات الأصبهاني كلها من الصحف التي يشتريها من الوراقين المملوءة ذكاكينهم بالكتب الخ .. فهو قول يكاد يمس أنف الحقيقة .. وذلك لأسباب أقلها أننا أثبتنا فيما سبق من هذا البحث ان الأصبهاني كان يحرص الحرص كله ألا يفوت شيئاً مما قبل من بابة كتابه عن صدق أم كذب .. ولهذا لا يمكن أن يضيره - وهو

(١) ص ١٤ - ١٥ كتاب (ابو الفرج الاصفهاني) لشفيق جبري .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحات .

يحوار صاحب بن عباد - شراء الصحف الكثيرة .. وأن ينقل من رواياتها الشيء الكثير .. فتلك هي عادة القوم يومئذ .. ولم تنشط سوق الوراقين إلا من هذه العادة . وذلك وبعد أن استفاض تدوين الرواية .. وأصبحت تقدم على أطباق من ذهب فنون الأساليب والتنميق والتزييق للخلفاء ، والرؤساء ، وصراف القوم !!

ثم ان الأصهباني نفسه يشير في كتابه أكثر من مرة بقوله : (نقلت من كتاب كذا .. أو نسخت من كذا) ليس في كتاب الأغاني فحسب بل في كتابه « مقاتل الطالبين » أيضاً يقول الأستاذ السيد احمد صقر محقق وشارح هذا الكتاب في المقدمة : (وقد أتى أبو الفرج بروايات مدخولة وأحاديث موضوعة لم يعقب عليها . ولكنه أمر نقده على بعضها إلى أن يقول : وكنت إذا ما رأيت أبا الفرج ينزع نزعة مسرحية نقلت من أقوال ثقافة المؤرخين ما يرجع الحق إلى نصابه ، ويرد التاريخ إلى محرابه (١))

ولنحسب الآن بين أمرين أهونها شر ، الأمر الأول : ان يأتي الأصهباني بهذه الروايات المدخولة من عنده فيكون إذن كما قال عنه النوبختي . والأمر الثاني : أن يأتي بهذه الروايات المدخولة من سوق الوراقين .. وهذا ما يؤيد قول النوبختي أيضاً بأن معظم روايات الأصهباني من الكتب التي يشتريها من سوق الوراقين ..

وأما تعليق شفيق جبري الذي أوردناه اتفاقاً فإنه لو لا أن مثله وأمثاله من الآراء من الحوافز التي دفعتني لكتابة هذا البحث .. إذ وجدت لشفيق جبري أضراباً وأشباهاً من اخواننا الأدباء .. ويذهبون بكتاب الأغاني مذاهب بعيدة لو بعث الأصهباني من قبره لهالة منها ما هالني !!

ولو لا ذلك .. ولو لا ما يقتضيه البحث لما أوردت رأي شفيق جبري

(١) من مقدمة احمد صقر لكتاب (مقاتل الطالبين) طبع دار احياء الكتب العربية .

فإن فيه مغالاة شديدة بغير قليل من التسرع .. فالأصبهاني نفسه لم يقل قط أنه تتبع الصدق وشدة التوقي .. بل قال أنه يحرص على جمع كل ما قيل ، لا يهمه صدق ذلك من كذبه .

أما أنه يحاسب الرواة والأكاذيب على الخطأ .. فإن ذلك لم يحصل إلا في مناسبات معينة من كتابه ورواة بذاتهم .. ومع ذلك مع نقده ومعرفته لهذه الروايات الكاذبة الزائفة يوردها في كتابه لا لشيء إلا لأنه يحرص على جمع كل ما قيل ..

أما أن يفاخر شفيق جبري بأن الأصبهاني كان يؤاخذ الرواة بكل تحامل وحق وسب وشم وتجهيل .. فإن ذلك ليس من التبرئة في شيء للأصبهاني .. بل هو الادانة . كل الادانة .. والافتقار كان التحامل والحق والسب والشم والتجهيل مما يؤخذ به في مجال النقد ؟ ومتى كان التحامل والحق والسب والتجهيل من وسائل البحث ؟ أو من أدوات النقد ؟!

ومما هو أظلم في رأي شفيق جبري أنه لم يورد مثلاً واحداً على حكاية (تتبع الصدق وشدة التوقي) عند أبي الفرج .. الأمر الذي لا يمكن معه الأخذ برأيه .. ولكن لا شك أن في مثل هذه الآراء المتسرعة فتنة كبيرة على عامة كبيرة من القراء .. فإنه ما دام أن الأصبهاني على درجة من تتبع الصدق ، وشدة التوقي .. يجب أن تكون جميع المهازيل التي وردت كتابه صحيحة دون أن نبحت عن أصلها وفصلها . فضلاً عن ظلمها وذلك ما لا يقول به باحث .

٢ - يقول ياقوت الحموي ^(١) : (لعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر ، جم الفوائد ، عظيم العلم جامع بين الجد البحث ، والهزل النحت) .

والحق أن ما قاله الحموي يضرب في منطقة موهلة من كبس الحقيقة .. ومننا بصورة خاصة - قوله : (جامع بين الجد البحث ، والهزل النحت)

(١) ج ١٣ ص ٩٨ معجم الأدباء ط مصر (دار المأمون) .

فأما الجدل البحث فلو توفر باحث أو أكثر على دراسة الجوانب الجدية في كتاب « الأغاني » ، ومقارنتها بما ورد في كتب ثقافة المؤرخين ، أو ثقافة الرواة .. أو عن طرق أخرى ليس أقلها مصادر الكتاب ، أو تحري النص .. أو عدل الراوي .. وهل أجاز أحد من رجال الحديث روايته أم لم يجوزوا .. فضلاً عن وسائل كثيرة لا يعنيها هنا ذكرها .. وبهذا وحده نستطيع التثبت من (الجدل البحث) في كتاب « الأغاني » .

أما (الهزل النحت) في كتاب الأغاني .. فحدث ولا حرج .. فهو سداة الكتاب ولحمته .. ومع ذلك فإنه - أي الهزل النحت - يمثل في الواقع - شيئاً أم أبينا - ظلاً من ظلال الحقيقة يجب ألا يستهان به ..

ان الأساطير نفسها - وهي مجرد أساطير - لها في كثير من المواقف ظل حقيقة .. فما بالك بروايات مسندة - ودعك من أهمية الاسناد - لا بد أن يكون لها نصيب من ظل الحقيقة أكثر ..

هذا النصيب من ظل الحقيقة : يجب أن يكون أكبر دافع لرجال البحث في لغة الضاد لاستقصائه وتمحيصه ، وإدارة الرأي فيه .. ولكن وأسفاه : ان هناك وفرة من المفاهيم (القمعية) تحول دون كثير من ذلك .. وان كان الرأي المعتدل والحجة المنطقية متزنة .. لا بد أن تحطم شيئاً من ذلك !!

واننا لفي أمس حاجة إلى دراسة تراثنا ، وتقديمه لأجيالنا بصورة صحيحة صريحة منقحة .. مجردة تجريداً علمياً بعيداً عن قصور الأفهام ، وانغلاق العقول .. فإن تراثنا لم يبق منه إلا الصورة التاريخية المجردة - وهي صورة مشرفة والحمد لله - ولكن قبل أن نقنع غيرنا بقالبها المنطقي الحديث .. يجب ان نصنع نحن هذا القلب ونؤمن به !!

٣ - يرى العلامة ابن خلدون - وانا هنا - انقل هذا النص عن كتاب محمد عبد الجواد الاصمعي « أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني » - ص ١٦٨ :

(يقول العلامة ابن خلدون : ولعمري انه ديوان العرب ، وجامع اشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ ، والفناء ، وسائر الاحوال ، ولا يعدل به كتاب في ذلك ، فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ، ويقف عندها)

ورأى ابن خلدون له ثقل كبير في ميزان الرأي وان كنت - شخصياً - لا أذهب مع الداهيين بابن خلدون أيضاً إلى بعيد .. فإنك تلمس في مقدمته وغيرها .. ، ما لو أخضع لصهر البحث الحديث لوجد انه يحتاج - بدرجة لا تقل شأنًا - إلى إعادة النظر في أرائه - ولا أقصد رأيه في أبي الفرج فذلك شيء آخر - !!

ومع ذلك فأنا لا يهمني الآن سوى النظر في رأيه في أبي الفرج ، وكتاب « الأغاني » .. فذلك هو موضوع بحثي هذا .. فإن يكون كتاب الأغاني (ديوان العرب) وجامع واشتات المحاسن ، التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ ، والفناء ، وسائر الاحوال) لا شك ان في ذلك مبالغة كبيرة .. أقول كبيرة ..

والا فان كتاب « الأغاني » يحتوي على نصيب لا يستهان به من كل ذلك - وهذه حقيقة - ولكن ان يكون كتاب الأغاني وحده (ديوان العرب) فأنا اتساءل : أين يجب أن يوضع من التراث العربي - شعراً أو نثراً - ما لم يرد في كتاب الأغاني ؟.

وكتاب الأغاني - كما هو معروف - لم يحوِ كل الشعر العربي في الجاهلية وصدر الاسلام .. أي قبل تأليف الأغاني نفسه .. ذلك الشعر الذي هو (ديوان العرب) وذلك ما لا تحتويه كلمة ابن خلدون بأنه - أي كتاب الأغاني - (ديوان العرب) .. فتلك أولى المبالغات التي لا تخلو منها مؤلفات القدماء وتعبيراتهم !!

وأما ما يراه ابن خلدون من أن كتاب الأغاني : (جامع اشتات المحاسن

التي سلفت لهم - أي ، العرب - في كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ (فذلك ما ينطبق عليه ما قلناه آنفاً 11.

وأما قوله (والغناء) فذلك ما لا أملك الا أن أثبته كما هو لأنني لا أجد بين يدي من الأدلة ما يدحضه أو يثبتته 11.

وأما قوله - أي ابن خلدون - (وسائر الأحوال) فتلك مبالغة مفرطة .. وإلا فأين نذهب بالمؤلفات التي وصلت إلينا مطبوعة أو مخطوطة .. أو التي لم تصل في (سائر الأحوال) تلك - لا شك - مبالغة مفرطة ، وغير متحفظة نزباً بابن خلدون عنها ولكنها صدرت منه مع ذلك كغيره من المفرطين ، والمفرطين - بتشديد الراء وكسرهما - من القدماء والمحدثين !! قد يقول قائل : إن هذا تطاول مني على ابن خلدون وامثاله . أما أنا فأقول انه لم يقتلنا في دراسة تراثنا وتاريخنا الا شيوع تهمة (التطاول) بيننا .. وإلا فما قيمة الرأي إذا لم يقف موقف النقاش مع ابن خلدون أو غيره ؟ .

ثم يهمني بعد - نزولاً عند بابة هذا البحث - أن نقف عند قول ابن خلدون : وهو - يقصد كتاب الأغاني طبعاً - (الغاية التي يسمو اليها الاديب ، ويقف عندها) .

والشيء الذي يهمني بالدرجة الاولى من وقفنا هذه عند قول ابن خلدون هذا .. هو انه - وهو المؤرخ المشهور - لم يقل ان كتاب الاغاني هو الغاية التي يسمو اليها المؤرخ ويقف عندها .. بل قال . انه الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها ..

ولا شك ان الغرض معروف بين ما يجب أن يقف عنده المؤرخ .. وبين ما يجب أن يقف عنده الاديب .. وفي ذلك ما يؤيد رأي الدكتور زكي مبارك الذي سنعرضه فيما بعد من بحثنا هذا .. وهو رأي يبحث عن الاجابة على السؤال التالي : (كتاب الأغاني . هل هو كتاب تاريخ أم كتاب ادب ؟) .

عليّ العمير

(للبحث صلة)

حديث الكتب

تاريخ العرب قبل الإسلام

للدكتور جواد علي

الحق أن أقول أن الدكتور جواد علي قد هباً لدراسي التاريخ القديم وعيبه فرصة الاطلاع على ما كتبه المستشرقون في تاريخ العرب قبل الاسلام ولا سيما الألمان منهم فقد اعتمد المؤلف كثيراً على ما كتب هؤلاء . على أي استكثر أن يكتب عن أحقاب ما قبل الاسلام ثمانية أجزاء كبيرة إذا علمنا أن المواد الأولية المعتمدة هي النقوش وإن الأعاجم المستشرقين قد استبعدوا ما كتبه المؤرخون المسلمون الأقدمون عن هذه الفترة .

والآن وقد صدر الجزء الأول من « تاريخ العرب في الاسلام » فلا بد من من أن أفيد منه وذلك لأنه يؤرخ لفترة الاسلام الأولى التي خضعت لعلم التاريخ المدون الصحيح .

وقد دعا المؤلف في المقدمة بلهجة مخططة إلى النقد فقال : « ونقد الناس منها كانت أهدافه وأغراضه هو في نظر كاتب هذه الصفحات حكمة وتعليم وتقويم ودرس لمن اعتبر ... » .

وعكفت على الكتاب وهو يشتمل على السيرة النبوية من المولد إلى بدء انتشار الدعوة فأقدت من المؤلف وحدث له جهده وسعيه .

على أنني أخذت عليه الملاحظات وددت أن أشرها لعل فيها غناء وجدوى للدارسين .

أشار المؤلف في الصفحة « ٥١ » إلى (الأحابيش) فقال : وقد تكدر في مكة عدد كبير من (الأحابيش) أي الرقيق الأسود المستورد من افريقية من الحبشة وغيرها . وقد عرف هؤلاء بالأحبابيش ، لصلة الحبش

بحزيرة العرب قبل الاسلام بزمان طويل ، ولحكم الحبش لبغمة كبيرة من الساحل المقابل لبلاد العرب ، ولكونهم المستوردين لهؤلاء الى اسواق النخاسة في ساحل افريقية ...

ولم يشر المؤلف الفاضل الى المصدر الذي اعتمد عليه في إثبات هذه الفوائد . ومع أني لا أنكر أن قد كان في مكة عبدان وان منهم من كانوا حبشاً ، وان نلس لا ننس بلالاً الحبشي فلاني أجد الاستاذ المؤلف قد وهم فتصور « الأحابيش » الذين يتردد ذكرهم كثيراً في تاريخ مكة قبل الاسلام عبيداً أحباشاً بسبب ان الكلمتين تؤلف مادة لغوية مضجبة واحدة .

وليرجع المحقق الى المعجمات اللغوية ليداله وجه الصواب فقد ذكر الجدد الفيروز آمادي في القاموس المحيط ان « حبشي » بالضم جبل بأسفل مكة ومنه أحابيش قريش لأنهم تحالفوا بأشأنهم ليد على غيرهم ما سجا ليل ، ووضع نهار ومارساً حبشي .

وفي « الاسان » ان الاحابيش أحياء من القارة انضموا الى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الاسلام ، فقال إبليس لقريش : إني جبار لكم من بني ليث ، فواقموا دماً ، فسمتوا بذلك لاسودادهم ، قال :

ليث ودثل وكعب والذي ظأرت جمع الأحابيش لما احمرت الحدق فلما سميت تلك الأحياء بالأحابيش من قبيل تجمعهم صارت التحيش في الكلام كالتجميع .

وحبشي : جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش ، وذلك ان بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده فحالفوا قريشاً ، وتحالفوا بالله انا لبدأ على غيرنا ما سجا ليل ، ووضع نهار ، وما أرسى حبشي مكانه ، فسماوا أحابيش قريش باسم الجبل ...) وجاء في الصحاح : « والحباشة (بالضم) الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة وكذلك الأحبوش والأحابيش .. وحبشي جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش وذلك ان بني

المصطلق ...

وهكذا نجد الخبر نفسه الذي أشرنا إليه تفلاً عن « اللسان » .
وقد نبه لامنس اليسوعي الى المسراده (الأحابيش) كما أشار إلى ذلك
المستشرق « مونتغمري وات » في كتابه « محمد في مكة » .

وتبين من هذا الذي عرضنا له ان « الأحابيش » ليسوا أحباشاً عبيداً
كما ذهب الأستاذ الدكتور المؤلف الفاضل .

وقد استوقفني في (ص ٩٦) من الكتاب قول غريب هذا نصه :
وأما أمه فأمينة بنت وهب من بني زهرة من بني النجار من مدينة
يثرب . تزوجها عبدالله ، وهو في الرابعة والمشرين ، وأشار المؤلف في
الحاشية إلى ما يجعلنا نفهم انه اعتمد سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد .

ثم قال : « وكان بنو زهرة من الأسر الشهيرة في المدينة . وكانت تتعاطى
التجارة فتذهب إلى بلاد الشام . وهي تشبه في ذلك بني هاشم بمكة ولعل
التجارة هي التي ربطت أواصر الأسرتين برباط المصاهرة والدم » .
وقد أغفل المؤلف الإشارة إلى مصادره .

وهذه المسائل مما تجعل القارئ ، اللبيب في حيرة ، فالذي نعرفه أن بني
زهرة من قريش وان سعد بن أبي وقاص زهري من أقارب أمينة وكان يدعى
خال رسول الله (ص) وأنه كان أحد الستة الذين رشعهم عمر للخلافة فلو
لم يكن قرشياً لأفادت هذه المسألة ابتداء المؤرخين ولأشير إلى ذلك .

وفي « جهرة الأنساب » ص ١١٩ لابن حزم ان « بني زهرة بن كلاب :
ولد زهرة بن كلاب : الحارث وعبد مناف فولد عبد مناف بن زهرة وهيباً
وهيباً فولد وهب أم رسول الله (ص) ... »

و « هؤلاء ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان (وم قريش) لا قريش غير ولا
يكون قرشي الا منهم ... ولد فهر بن مالك : غالب ... فولد غالب بن

مَعَ الْقُرْآنِ... فِي أَسْئَلِنَاهُمْ وَتَقْلِيْقَاتِهِمْ

حول التراث الشعبي

في مقدمة الجزء التاسع من المجلد الثالث (ربيع الأول ١٣٨٩ ص ٧٦٩ - ٧٧٣) أثيرتم قضية العناية بالتراث العامي - أو الشعبي كما سميتهم وما أدري كيف تصح هذه التسمية - وكان من رأيكم أنها أمر لازم لكل أمة يهتمها معرفة تاريخها وخصايها ، واستشهدتم واحتججتم واستأنتم ..

فهد لؤي بن غالب فولد لؤي بن غالب كمب بن لؤي ... وأما كمب بن لؤي فولد مرة - فولد مرة بن كمب بن لؤي كلاب بن مرة ... فولد كلاب ابن مرة قصي بن كلاب وفيه البيت والشرف وزهرة بن كلاب (ص ١١ - ١٢) .

غير ان المؤلف قد نقل عن السيرة والطبقات ان بني زهرة هم من بني النجار !!!

والذي أراه أنه قد وقع في وهم ينبغي الرجوع عنه والاشارة إلى الصحيح . وعبارته كما يأتي في ص ١٠٠ : « أرادت آمنة زيارة أهلها لمرض غلامها عليهم وكانت وقد وعدت أهلها مراراً بزيارتهم وذهبت به وبأم ايمن جاريتها التي خلفها لها زوجها عبدالله ، وبقيت وبقي ابنها معها شهراً في أهلها ... الخ » وأشار المؤلف إلى المصادر في الحاشية .

وأرى ان تعاد كتابة العبارة فيكتب : « أخوال زوجها ، مكان «أهلها» . هذه نبذة يسيرة وددت أن أسجلها للفائدة من هذه السفر الجليل .

زهير سالم

بغداد

ومع أني أفتق معكم إلى حد كبير في هذا الرأي فإن لي رأياً غيراً أوردتموه
حججاً وشواهد على وجوب العناية بذلك التراث ، وما جرت أني على أن
أكتب إليكم بما أرى إلا فتقي برحابة صدركم .

وقبل أن أقصد إلى ما أنا بسبيله ألاحظ اعتمادكم - في تعزيز ما تزعمونه على
رأي الدكتور طه حسين ، ومهما يكن طول باع الدكتور في الأدب فإن
طول باعه في معرفة أدب نجد موضع شك كبير ^(١) . والحق - من قبل ومن
بعد - لا يعرف بالرجال .

١ - وأول ما لاحظته رأيكم أن إحياء تراث الأقطار الأخرى - غير
الجزيرة - مضعف لتراث العرب ؛ لأن الكثير منه موروثة عن أمم بعيدة
عن العرب وعن عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ، فيجب أن يحذر منه ، بل يجب
أن يقضى عليه . ولا أجد معنى لهذه التفرقة ؛ فإن إحياء تراث العامة
في الجزيرة - على هذا القياس - مضعف للتراث العربي الفصيح ، لكنني
أعتقد أن التراث العربي أرسخ وأعرق من أن يؤثر فيه دراسة وإحياء غيره
من تراث الحضارات السالفة ، ومعاذ العلم أن يدعو أحد إلى الحد من دراسة
وإحياء تراث الحضارات القديمة ما كان هذا الإحياء والدرس لوجه العلم ذاته ،
إنما المحذور هو الدرس المفروض المقصود به الدعوة إلى تقليد ذلكم التراث
لأنه من تراث الأمة فحسب بصرف النظر عن قيمته الذاتية :

٢ - ثم قلتم إن أول مظاهر فائدة دراسة تراث العامة يتمثل في أن تفسير
العامة بعض الأمثال يعيننا على تفسير تلك الأمثال الواردة في مظانها من
التراث الفصيح . وهذا أمر فيه نظر ؛ فمن المعلوم أن تفسير الأمثال يضطرب
اضطراباً كبيراً ، ونظرة مقارنة عجيلى إلى كتب الأمثال ^(٢) تكشف عن
هذا أوضح كشف ، فكيف بما ينناقله العامة مما تجمعت عليه القرون !

(١) يقولون من هذا الشك أن بقاؤنا من شاء بقيا كتاب الدكتور « في الأدب الجماهيري » والجزء
الأول من كتاب « حديث الأديباء » ، وأن يقرأ من شاء كتابه « مع المتنبي » ومقدمة كتبا به
« من حديث الشعر والنثر » .

(٢) « الفاهر » للفضل بن سلف و « جهرة الأمثال » لأبي هلال ر « مجمع الأمثال » .. الخ .

٣ - ورأيتم أننا « لا نستطيع » فهم ما يرد في كتب النحو واللغة من من مظاهر اللهجات العربية القديمة إلا بملاحظة لهجات العامة التي يمثلها التراث العامي ^(٣) . وهذه الطريقة - طريقة قياس الماضي على الحاضر - طريقة معروفة في علم اللغة ^(٤) ، ولكنها طريقة كثيرة المحذورات إذا مررنا في خلالها ما هو معلوم من تطور اللغات ، خاصة لهجات الخطاب التي لا يحددها ضابط ولا يحوي نحوها وصرفها كتاب ، وإذا لاحظنا الاضطراب الكبير في توضيح تلك اللهجات في الكتب التي ذكرتها ^(٥) .

٤ - ورأيتم أن هذا التراث بما حواه من أسماء المواضع يمين على إفساء تحديدنا الناقص في معجمات المواضع ، واستشهدتم بشعر أحد شعراء القرن الثالث عشر . ولكن الناظر يرى في هذا الرأي مغالاة شديدة ، فكيف يمكن الاستعانة بشعر قيل في القرن الثالث عشر على تحديد موضع ورد في خبر عن القرون الأولى للهجرة ، مع ما تعلمونه من اشتراك كثير من المواضع في أسماءها مع اختلاف أصقاعها مما هو مبسوط في كتب المشترك والمؤلف والختلف والمتفق والمفترق مما أنتم أدري به من سرائر ، ومع ما تعلمونه من عيش البدو - وهم أغلب سكان الجزيرة - الذي لا يستقر في مكان ، بل يسيّره الحصب والجذب وما يقتضيه من استقرار أو تجمّع . أجل ، يفيد هذا التراث علماً بالضرورة لو تنبأ لنا من النصوص ما يتيح متابعة هذه المواضع منذ الجاهلية حتى يومنا . وأنتي ! ولا أنكر - بعد - ما لتراث العامة من قيمة في الاستئناس ما قدّم عمده ووثق سنده .

٥ - ورأيتم أن هذا التراث مفيد للتأريخ بما دونه من الحوادث التاريخية . وأنا أتفق معكم في أن التراث الأدبي مصدر - لا مرجع - للتاريخ ، لكنه

(٣) من قبل سلك نحواً من هذا السلك المرحوم حنفي ناصيف في كتابه « ميزات لغة العرب » ، وفقاً لآراء الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه « في اللهجات العربية » .

(٤) علم اللغة للدكتور وائي ص ٤٤ - ٤٥ (ط ١٣٨٢) .

(٥) التزجج ١ ص ٢٢١ (ط الحلبي) لغة اللغة (الشمالي) ص ١٧٣ (ط الاستغناء) مجالس نعلب ٨١ (ط هارون) جبهة الأشعار ص ٨٦ (ط بيروت) ، اللسان « ع ن ن » ، الكامل (ط شاكر) ... الخ .

مصدر ظنين ، فإن الأدب - خاصة أدب الأسم المتأخرة في سلم الحضارة - كثير التشويه للحقائق التاريخية ، إذ ينسدفع الأديب - عن قصد أو غير قصد - إلى المبالغة في كل ما فيه رفع لتقديره أو هدير قبيله ، وتهوين من قدر عدوه ، وقد يضطر إلى الكذب وتغيير الحقائق دفاعاً عن موقفه وموقف قومه وتسويفاً لهزيمتهم أو قلقاً لشعور قرائه ، يمينه على ذلك التعريف الواسع للأدب وآراء الناقدين منذ أيام اليونان إلى يومنا وتساءلهم في المبالغات الأدبية مما تجلى أثره في آثار قدماء الأدباء ومحدثيهم منذ أيام هيرودوت وقاسيت إلى عهد دوما وشرقي . فالأدب مصدر للتاريخ ، لكن بالشهادة الخارجية وحدها دون الشهادة الداخلية النفسية (١) .

وبعد ، فهذا ما رأيته في مقالكم موضعاً للتطبيق ، وباصطحاب هذه الحدود والتحفظات في درس وإحياء التراث العامي أذفق معكم في الدعوة إلى هذا الإحياء وإلى وضع الكتب المفصلة في تاريخه وتطوره ، ونحوه وصرفه ، ومن لمته ومظاهر بلاغته ؛ لئلا تذهب به صروف الأيام كما ذهبت بتراث العامة في العصر العباسي وما تلاه من عصور ، فلم يبق منه إلا إشارات مقتضبة في أنبيش الكتب التي قصد بها إلى التسلية مؤلفوها ككتاب الفرج بعد الشدة و أخبار الحمقى و المستصراف و بعض فصول « اليتيمة » ، أو التي قصدتها أصحابها من تدوين اللهجات العامية - وهي فئة - مثل « الجمانة » و « رفع الأمير » .

الرياض

عبد العزيز بن حمد العويشق

الكتاب

تبادر إلى ذهني وأنا أقرأ هذه الرسالة ذكر ابني تكريم (ع. ن) وذكر

(١) في النقد التاريخي للأجبار وأسبوزوس ص ٢٢٢ - ١٣٣ (طبعة د. عبد الرحمن بدوي) « منهج البحث التاريخي التاريخي » للدكتور حسن عثمان ص ١٢٧ (ط دار المعارف) عرض لهذا الرأي لا يروى غلة .

المثل النجدي (أظنك يا عيد الضاوي أو القعيد) ومع ذلك فليكن ما يكون ، ولننتجبه إلى التعليق على رسالة الكاتب الكريم .

١ - هناك فرق بين التراث العربي الأصيل وراث الأقطار الذي كانت في القديم تحت نفوذ أعم أعجمية ، فجزيرة العرب هي مهدهم وراثها تراثهم بخلاف الأقطار الأخرى ، وليس معنى هذه الدعوة إلى عدم العناية بأحياء تراث أية أمة أرادت أحياء تراثها ، ولكن الموضوع موضوع فاحية خاصة كثر الاختلاف بين الباحثين حول أحياء تراثها ،

٢ - أما عن موضوع ادراك الدكتور طه حسين لمعرفة ادب نجد ، والشك فيه ، وذلك لشك الناشئ عما كتبه الدكتور عن الشعر الجاهلي القديم ، فإن الأمر يتضح عندما نفرق بين الشعر القديم والشعر الحديث فالشعر القديم يركز على الأدلة التاريخية الموثقة في القدم ، والشعر العامي الحديث يقوم على أساس التذوق والفهم الجرد وفرق بين الأمرين ، واستشهادنا بكلام الدكتور طه حسين هو الأمر الثاني ، وهذا يدركه كل من له المسام وفهم .

٣ - أما عن الاضطراب في تفسير الامثال ، فحق وجدنا في نصوصنا القديمة ، وفي لغتنا العربية الواسعة وفي بيتنا ولهجتنا الحاضرة ، ما يقرب لنا معنى المثل ، فما الداعي إلى التعمق بالدرجة التي تصل بنا إلى سفطات من المتحذقين والمتململين في بابي النحو والصرف من وجد العرب ، ووجدت لغتهم قبل وجودهم .

٤ - ويقال هذا بالنسبة للهجات العربية التي لا تزال باقية ، منذ أقدم العصور إلى العصر الحاضر .

٥ - ومن أغرب الآراء عدم استساغة الاستدلال بالشعر العامي الحديث على تحديد أمكنة عرفت منذ أربعة عشر قرناً أو أكثر ، قبل إذا وجدنا في شعر شاعر اليوم اسم مكة ؟ يصح القول بأننا لا يجوز لنا أن نستدل به على تلك المدينة المقدسة المعروفة منذ عشرات القرون .

٦ - ولتطور اللهجات باب واسع ولا يعنيها إذا وجدنا اضطراباً كبيراً

بين المتقدمين في تحديد تلك اللهجات ما دمنا نسميها ، ونذكرها أكثر مما أولئك الذين عاشوا بعيدين عن العرب وعن بلادهم وعن جزييرتهم من كانت تأوهم بما درسوا أكثر تأوهم بما سمعوا وعلّموا وشاهدوا .

٧ - ونكرر القول بأن تراث العرب لا يمكن فهمه الفهم الكامل إلا لمن عايش العرب وساكنتهم ، وخالطهم في بلادهم مدة طويلة ، وليس ذلك مما تقتصر دراسته على ما خلفه لنا سلفنا الصالح من العلماء ، وقديماً قالوا : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك . وللآخ الكاتب أطيب تحية .

فيلة الرشائفة

[جاءنا من الأخ خلف بن مسعد من الرياض مقال فتلحقه فيما يلي]

إذا أردنا البحث الوافي عند قبائل الرشائفة فانه يجب ان ابحت عن الأصل الأول الذي منه العرب جميعاً وإذا عدنا الى ذلك سوف نتطرق الى أن العرب في الماضي كانت على قسمين : العرب البائدة الذين هلكوا وبادوا ولم يعرف التاريخ عنهم شيئاً يذكر والقسم الثاني العرب الباقية : التي قسمها التاريخ الى قسمين هما العرب العاربة والعرب المستعربة وربما كانت لفظة المستعربة من الالتقاط الداخلية ولكن على الأرجح ان نقول قسمين كبيرين عرب الشمال وعرب الجنوب فاللغات بين الشماليين والجنوبيين متقاربة اللهجات في الجاهلية ثم جاء القرآن الكريم بلفظه العربية الفصحى فوحد اللفظ بين القسمين .

إذا أردنا النسب الى الأصل الأول للرشائفة (بني رشيد) فسوف نرجعهم الى سلالة : معد بن عدنان الذي من سلالة غطفان ومن غطفان عيس وذبيان ورشيد الجد الأول للرشائفة هذا في عصر الجاهلية ولبن رشيد في ذلك العصر صولات وجولات مذكورة في شعر شعرائهم ومن أشعارهم ما حدث لهم وبني عومتهم في الجاهلية في حرب داحس والغبراء وذلك على أو السباق الذي سبب الحسب بينهم وكانت مساكنهم آنذاك أواسط نجد ولكنها لم تكن مساكن إقامة بل كانوا بدواً أهل رحلة

ينتقلون حيث يكون الماء والكلا ولم تكن لهم حاضرة معروفة لكثرة تنقلاتهم بل كانت لهم منازل وقت الربيع معروفة ومن منازلهم وقت الربيع (ذات الإصاد) و (الهباءة) وقد استشهد ببعض شعرائهم بذلك .

والرشيدة منهم من بقي على بداوته الأولى ينتقل حيث كان الماء والكلاء في أواسط نجد عائشين في أمن الاسلام وعقيدته وناعمين في إيمانهم وعقائدهم الدينية وسائرين على الكتاب والسنة ومنهم من دخل في مدن المملكة اطلب العيش من أعمال وتجارة ولا يزال لهم فروع عديدة معروفة من أهل القرى ومن سكان اندن ومن أهل البادية ومن بني رشيد في حضرة الحاضر :

(١) البراك : ومنهم من سكن المدن في المملكة العربية السعودية ومنهم الباقون على بداوتهم ينتقلون بنجد حيث الماء والكلا .

(٢) القلابات : وهم فصائل منها الحمد والحدود وكذلك نجد منهم من سكن المدن ، ونجد منهم من لا يزال في البادية ومنهم من سكن القرى كقرية الروض والحليفة بين مدينة حائل وبين المدينة المنورة .

(٣) العوامرة : وهم سكان الحرّة ، ومنازلهم بين قرية الحائط وخيبر من جهة الغرب ومنهم من سكن المدن .

(٤) الشرارات : منهم الحاضرة ، الآن والبادية ومنهم قسم يسكن وادي السرحان في الشمال وقسم بين مككا والجوف وتيا .

(٥) ومن قبائل بني رشيد : العوازم ، والنوامسة ، والزبون ، والمعجونة ، والفيدة ، والحلوية ، والشوالة ، والرويضات ، والمضاربة ، والعايضات ، والقمايب ، والمكالحسة ، والفراصة ، والخيارات والوهادين ، والمراصرة والمهامزة .

خلف بن مسعد العباد

(الرياض)

حول بلدة « تادق »

كتب الأخ الأستاذ محمد الهاجري من « الرياض » يقول :
جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي عند الحديث عن اسم تادق أورد
هذه الأبيات :

لعقبة بن السوداء قال :
الأيام لقومي للهموم الطوارق وربع خلا بين السليل وتادق
وقال :

سقى الأربع الأظفار من بطن تادق هزيم الكلى جاشت به العين املح
وقال عبد الرحمن بن دارة :
نضى مالك ما قد قضى ثم قلت به في سواد الليل وجناء عرس
لأضحت بأعلى تادق فكأنها محالة غرب تستمر وتغرس
وفي معجم ما استعجم للبكري : عند ذكر اسم تادق : انه ماء لبني
فقص قبل القنان قالت ليلي الأخيلية :

وحلأما حتى إذا لم يسغ لها حلى يحني تادق وجفيف
وقال الشاخ :

فصد بها عن تادق وحسائر وصد بها عن ماء ذات المشائر
وقال زهير :

فهضب ، فرقد ، فالطوي ، فتادق فوادي القنان ، مضبه فداخله

فما هو المقصود باسم تادق في هذه الأبيات ؟ وهل هو تادق المروفة
الآن بالحمل بنجد وهل تادق هذه معروفة في القديم ؟ وهل منها اناس مشهورون ؟
تادق المذكور في النصوص المتقدمة واد يقع في اعلى القصيم ،

« العرب » وهو من رواقد وادي الرمة ، ولا يزال معروفاً ، غير
ان بعضهم يبدل القاف جيم فيقول تادج ، وقد حدد هذا الرادي صاحب
كتاب « بلاد العرب » (١) .

(١) ص : ٤٠ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٨٤ والكتاب من منشورات دار اليمامة .

أما البلدة الواقعة في إقليم الحمل ، فأنالم أر لها ذكراً فيها بين يدي من المصادر ، ولكنني أعتقد بأنها قديمة لأن اسم نادق من الاسماء القديمة ، وليس من الأسماء الحديثة ، وقد اختلف اللغويون في معناه ، قال ابن دريد في « جمهرة اللغة » : سألت الرياشي عن اشتقاق اسم نادق ، فقال : انكم - يا معشر الصبيان تتمقون في العلم ! ! وقلت انا - ابن دريد - يحتمل ان يكون اشتقاقه من ثدق المطر من السحاب ، اذا خرج خروجاً سريعاً ، وسحاب نادق ، وواد نادق اي سائل .

ونقل صاحب « اللسان » و « نوح المروس » عن ابن دريد : سألت أبا عثمان الاثناقلي فقال : ثدق المطر من السحاب ، اذا خرج خروجاً سريعاً ، انتهى واذن ، فالاسم قديم ، ولكن ليس كل اسم بلد قديم يكون مذكوراً في معجمات الامكنة ، وفي الكتب التي وصلت الينا ، فقد أغفل المتقدمون الكثير من ذلك ، ومن الامثلة اسم جلاجل ، فنحن لا نجد في الكتب التي بين أيدينا سوى جلاجل اسم نفا من انفية الدهناء ، ولا تذكر الكتب اسم جلاجل الواقع في إقليم سدير الا عرضاً ، كما ذكر ياقوت بأن وادي المياه يسقي جلاجل وهو هنا ينصد البلدة التي في سدير ، ولكنه لم يفرده في الذكر في « معجم البلدان » .

واعتقد ان اسم نادق كان يطلق على الوادي ، ثم لما عثرت البلدة سميت باسمه ، أما تاريخ عمران بلدة نادق ، فأقدم من رأيت ذكر ذلك هو عمر بن محمد الفاخري ، ثم من بعده الشيخ عثمان بن بشر والشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ، فقد ذكروا انه في سنة ١٠٢٩ هـ مرة بلدة نادق عمرها آل عوسجة ، من الدواسر وغرسوها^(١)

بقيت الإجابة عن مشاهير أهلها ، فلا شك انه جرح منها رجال عرفوا بكثير من احوال الحميدة ، وهذا ما أرجو ان يتصدى له أحد أبناء تلك البلدة فيكتب لها تاريخاً يوضح فيه تراجم مشاهيرها .

وللاخ السائل الكريم اطيب تمنياتي

(١) كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد من ٦٢ من منشورات « دار الجامعة » بالبعث والترجمة والنشر ،

صديقات غابا عن الابصار :

الشيخ حسين بن محمد آل سليمان

لعل أعمق الاصدقاء صداقة للمرء هو المشارك له في آرائه ، وفي اتجاهاته وميوله ، وكل ما قويت هذه المشاركة ، نطدت عرى الصداقة وازداد تقارب روحي الصديقين ، تقارباً يصل إلى درجة الاتفاق في المساعر ، وفي مختلف الاحساسات النفسية ، ولهذا يحس المرء عندما يفقد صديقاً بأنه فقد شيئاً من حياته ذا صلة عميقة بالروح ، أو جزءاً من نفسه ، فيدركه من الأمل والحزن ما لا يدركه عند فقدان قريب ، ذلك ان الصداقة تتركز على أعماق نفسية صلها بالروح أكثر من صلها بالجسد .

وهذا ما أحسست به منذ شهر (ربيع الثاني سنة ١٣٨٩ هـ) عندما جمعت من إحدى الاذاعات نبأ اغتيال أحد أصدقائي الشيخ حسين بن محمد آل سليمان .

والشيخ حسين هذا عرفته قبل أربعين عاماً ، حينما كان وكنت طالين في المعهد السعودي في مكة المكرمة ، فقويت الصلة بيننا على أساس اتفاقنا في كثير من الميول والاتجاهات ، ثم طوحت به الاسفار حتى القى عصا التسيار في بلاد الهند ، وعاش هناك قرابة أربعين عاماً غربياً عن وطنه وإخوانه ، فهو من قرية المنيجر من الحريق من بلاد نجد ، ومن أسرة كريمة لمحتد ، غير ان متطلبات الحياة حملته على أن يألف بلاد الغربة وان يقيم هناك .

ولكنه كان أثناء اقامته يقوم بعمل جليل ذي صلة عريقة بأمته وبلاده فقد عرف فيمن عرف هناك نخبة من الأثرياء ، من العرب المقيمين في تلك البلاد ، فكان يقوم بتعليم اللغة العربية لأبناء بعض من عرفهم ، كما كان ذا صلة قوية

بافاضل علماء الهند اكتسب صداقة كثير منهم وتقدير كل من كانت له به صلة .
لما يتصف به من العلم ، ودمائة الاخلاق وسجاجة النفس .

ومن قويت به صلته هناك عين اعيان التجار العرب ، الثري الكريم
الشيخ عبدالله آل فوزان الدوسري القسطنطيني ، من أهل بلدة نادق من اقليم
الهمل بنجد . وهذا الرجل الشهم كان ذا أيادي بيضاء على بلاده ، وذا
صلة بالمنفور له الملك عبدالعزيز آل سعود ، وبمشورته ونصحه أمر - رحمه
الله - بابتعاث أول بعثة سافرت إلى القاهرة لتلقي العلم ، فقد كانت الشيخ
عبدالله - رحمه الله - يحرص أشد الحرص على توجيه أبناء بلاده وجهة تمكنهم
من خدمة امتهم على أسس قوية من العلم والمعرفة ، وكان ذا حرص شديد
على ان يتفهم أبناءه تثقيفاً يؤهلهم لما فيه خير تلك البلاد ، وحسبنا ان نشير
إلى ان ممن حظوا بتوجيه الشيخ عبدالله السليمان اول وزير للمالية في بلادنا ،
والاستاذ سليمان الدخيل أول صحفي عرف من نجد ، ثم لا ننسى ابنه الشهم
المفضل الشيخ يوسف الفوزان ، الذي تقلب في وظائف في الخارجية آخرها
وظيفته الآن حيث اصبح سفيراً لبلادنا في لندن .

عاش الاستاذ حسين السليمان هناك ، والحق بوظيفة في سفارة بلادنا في
الهند ، وكان خير مثال للموظف العالم ، الذي ينظر الى الوظيفة باعتبارها
وسيلة من وسائل العمل النافع الشامل ، لا أداة من أدوات الكسب فحسب ،
ولهذا بقي سنين طويلة منخفض الرتبة والراتب ، بينما قفز آخرون أقل منه
إدراكاً وعلماً واختلاصاً فتجاوزوه الى مراتب عليا ، ولكن حينئذ - رحمه
الله - وان فاتته ما يطمح اليه من وسائل الحياة ، فقد نال بكرم خلقه ،
وطيب ذكره ما يبقى أثره ، وقديماً قيل :

وانما المرء حديث بعده فكأن حديثاً حسناً لما وعى

لقد وافته المنية شهيداً بطعنة من غادر ، فاجأه هو وخادمه اثناء الليل
فقضيا نحبها - رحمه الله عليهما .

محمد سعيد باغفار

وهذا صديق حميم عرفته أول ما عرفته بطريق المصادفة ، في مطار البحرين سنة ١٣٧٦ ، وكنا مسافرين اليها ، ومع ان زمن الالتقاء كان قصيراً جداً ، الا ان ما ادركنه من لطف الرجل ودماثة خلقه ، حملني على ان احرص على الاجتماع به في الرياض عند العودة ، فكان ذلك ووجدت فيه من الصفات الكريمة ما قوى أواصر الصداقة بيننا طيلة حياته :

والاستاذ محمد سعيد باغفار من اسرة كريمة معروفة بالثراء ، وقد أكمل الاستاذ محمد سعيد دراسته في كلية التجارة في جامعة القاهرة ، وبعد ذلك رغب عن الوظائف وفضل الاشتغال بالتجارة ، وقام بنشاط واسع ، اتخذ مدينة الرياض مركزاً له ، إلا انه مع ذلك ، لم يمل جانباً هاماً من جوانب الحياة ، وهو جانب التوجيه ونشر الآراء النافعة مما يتصل بحياته العلمية ، وهو الجانب الاقتصادي .

وقد اتخذ من الصحيفة التي التي اصدرتها في الرياض (اليامة) مجالاً لنشر كثير من أبحاثه الاقتصادية ، وهي أبحاث تدل على عمق معرفة وحسن توجيه ، وقد كان لكثير منها من الأثر الطيب ما دفع الى تحقيق كثير من اقتراحاته وآرائه ، كإنشاء مصرف زراعي وغرفة تجارية في الرياض وغير ذلك من الآراء الاقتصادية الصائبة ، التي اصبحت بلادنا تسير عليها ، ويمتاز الاستاذ محمد سعيد رحمه الله بصفات حببته إلى نفوس جميع عارفيه ، من أبرزها طهارة قلبه بحيث لا يحمل أية صفة ليست حسنة حتى لعدوه ، مع انه بهذه الصفة لا عدو له ، بل أصبح صديقاً لكل أحد ، وأصبح بينه ملتقى لكل عارفه ، على اختلاف مبولهم ، وانجباهم ، حتى كانوا يطلقون عليه اسم (بيت الأمة) وعلى الاستاذ محمد سعيد (ابن الشعب البار) ، وكثيراً ما كان أصدقائه يتندرون عليه بهذا اللقب في صحيفة اليامة ، فكان يقابلهم بضحكة مدوية تحمل كل معاني الطيب ، ونظافة القلب ، ومعاينة النفس .

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب في هذا الباب الا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اعتمد بكل ما ينشر من تراثنا]

ولعلماء العراق وباحثيه انحاء حميد نحو إحياء تراثنا ، أشارت « العرب » إلى جوانب من ذلك الانحاء ، وبما وصل اليها أخيراً .
● - ديوان بن هرومة .

الاستاذ محمد جبار الميبد ، من أبرز الباحثين في العراق المتجهين لدراسة كان الاستاذ سعيد - رحمه الله - قد عاش في أول حياته عيشة ترف ونعمه واحب ان يسير على ذلك في كل حياته ، غير أنه اصيب قبل بضع سنوات بمرض في المعدة سبب له كثيراً من الآلام ، وأرهق جسمه وغير لونه ، بسبب التزامه حمية خاصة في أكله ، ولازمه ذلك حتى أوهى قوته ، فصار اصداقائه عندما يشاهدونه وقد عرفوه شاباً ممتلئ الجسم ، صافي اللون ، يرونه قد تغير فجأة ، وأصبح كثير الشكوى ، كثير الذهول ، شاحب اللون ، ولكنهم يشفقون عليه ، فيدفعهم اشفاقهم الى ان يصفوه بمتى الصحة والمقامة ، فتسبب الابتسامة الطاهرة من شفائه باسترخاء ، ولا يكاد يجيب أكثر من ذلك . وفي أول هذا الشهر (جمادى الآخرة ١٣٨٩) يفاجأ اخوانه بخبر مقتضب في جريدة الاهرام ينسب عن نعمة ، وكانت امرته - والدته واخواته - تقيم في القاهرة ، وكان برأ بها الى منتهى البر ، فوافته المنية أثناء زيارته لتلك الاسرة الكريمة ، وعاجله الحمام عندما تناول كوباً من عصير (المانجا) فما استقر في جوفه حتى بادر إلى الاستغاثة بطلب الطبيب ، ولكن الامر اسرع من ذلك ، ومضى مأسوفاً عليه من كل من عرفه ، فرحم الله سميحاً وعوض امرته واخوانه وعرضه هو خيراً ، و (انا لله وانا اليه راجعون) .

صالح الجبار

الشعر القديم ، وإحيائه بالبحث والتحقيق والنشر ، وقد صدر له ديوان إبراهيم بن هرمة الشاعر المدني (ولد سنة ٩٠ هـ ، وتوفي سنة ١٧٦) في المدينة ، وقد جمع الأستاذ المعيد شعره من مختلف المصادر ، وحققه وشرحه ، فجاه في ٣٥٢ صفحة بطباعة حسنة ، وفهارس مفصلة ، والذي يدهش القارئ في عمل الأستاذ المحقق ، وبمعبه كثرة مصادره ، مما يدل على تعمق بحث ، وقوة صبر وجلد وسعة اطلاع .

● - « ثمن الكفاح »

هذه قصة طريفة سجلها أخونا وشيخنا الأستاذ عبد المحسن بن عثمان أبا بطين ، تصور جوانب من حياته الخاصة ، وعبد المحسن كان في اعتقادي ذا أثر طيب في الوعي الثقافي في بلادنا ، فقد كان من أول من أنشأ مكتبة لبيع الكتب في الرياض ، وأول من تصدى لنشر المؤلفات المتعلقة ببلادنا تاريخية ودراسية ، وكنت أدعوه ويدعوه غيري (شيخنا) عندما كنت أشتغل ببيع الكتب ، كانت عندي مكتبة دعوتها (مكتبة العرب) وقصته « ثمن الكفاح » تصور جوانب حياته ، كتبها بأسلوب يتلاءم مع فهم أكثر القراء الذين كتبوا القصة لهم ، هم وحدهم . فجماعت القصة في ١٥٤ صفحة ، وقد كرم بإهداء نسخة منها إلى العرب التي من عاداتها أن تحب بكل ما يقدم لها . فشكراً للهدى ، ومزيداً من كل ما يتصل بالثقافة في بلادنا .

● - « أحلام لا تكذب »

الأستاذ عزة محمد إبراهيم شاب عرفته بما قرأت له في صحفنا ، وقد نشر هذه الأيام قصة دعاهما « أحلام لا تكذب » تقع في ٣٣٣ صفحة بطباعة حسنة ، وهي تصور حياة شاب متطلع إلى الحياة ذي مثل عليا ، تصدم بما تزخر به المدينة التي عاش فيها من مظاهر الترف والمدينة الحديثة ، فيصارع تلك المظاهر وقصاره ويبقى سادراً من أثر ذلك الصراع .

● - « ديوان عدي بن زيد العبادي » .

وعدي هذا كما هو معروف شاعر جاهلي قيمي ، عاش في الحياة ، في كنف امرأته ، وقد بقي ديوانه إلى هذا العهد ، فعقده الأستاذ محمد جبار المبيد ، وأضاف إليه ما لم يكن مذكوراً فيه ، وزينه بتحقيقاته وفهارسه الواسعة فجاء في ٣٢٩ صفحة .

● - « شعر الاحوص الانصاري » .

وقام الأستاذ الحق الدكتور ابراهيم السامرائي بجمع شعر الاحوص الانصاري المدني الشاعر الاسلامي ، جمعه من مختلف المصادر ، وحققه وشرحه بعد أن أرجع إلى ما يقرب من مئتي مصدر من كتب اللغة والأدب والتاريخ ، فجاء الديوان في ٣٢٠ صفحة ، بفهارسه الواسعة ، في طباعة جيدة .

● - « ديوان الحارث بن خنزة »

الحارث بن خنزة البكري الوائلي شاعر جاهلي صاحب معلقة مرموقة وقد سبق للأستاذ الطيب الذكر سالم الكرنكوي (فريسن كرينكو) أن نشر ذلك الديوان قبل خمسين عاماً وقام الأستاذ هاشم الطمان من علماء العراق وباشيه ، ومن المعنيين بأحياء الشعر القديم ، قام بإعادة طبع هذا الديوان بعد أن أضاف إليه المعلقة ، وهو ديوان على صغر حجمه ، حيث لم يتجاوز مع حواشيه وتعليقاته ٣٤ صفحة - ومع ذلك فهو مصدر من مصادر دراسة الشعر الجاهلي .

● - « شرح القصائد العشر »

القصائد العشر هي المعروفة باسم (المملقات السبع) يضاف إليها ثلاث قصائد للاعشى ، والنابعة ، وعبيد بن الأبرص ، والشارح هو الامام ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، العالم الجليل المعروف ، ومع أن هذا الكتاب طبع سبع مرات إلا أن الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة مدرس الأدب القديم في جامعة حلب ، رأى أن تلك المطبوعات لم تستطع على ما بذل فيها من جهد وعناية ، ان تعطي الكتاب حقه في العمل العلمي ، فكان أن قام بذلك معتدلاً على الأصل الذي كتب في عهد المؤلف نفسه ، مضيفاً إليه شروحات وزيادات ، وتحقيقات علمية اكسبت الكتاب قيمة كبيرة لدى الباحثين مع ما

أضاف إليه من فهارس وافية ، فبعاء الكتاب في ٥٢٣ صفحة ، بطباعة حسنة ، وتحقق يدل على الجهد الكبير الذي بذله الدكتور فخر الدين بحيث أصبح به الكتاب وافياً معتبراً من أهم مراجع الباحثين في الشعر العربي القديم

● - « مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي »

قليلون أولئك الذين يمتنون بالدراسات العميقة عن أصول تاريخنا العربي ، ومنهم الدكتور عبد الميزن الدوري ذو المباحث المروفة في هذا المجال ، ومن آخر ما أتحف به الباحثين هذا البحث المنمّع الذي دعاه « مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي » ، ومن فضول القول التحدث عن طول باع الدكتور الدوري في هذا المجال ، إلا أن هذا الكتاب يضيف جديداً إلى أبحاث الدكتور المتعمقة في دراسة تاريخ العرب دراسة عميقة . وقد جاء هذا البحث في ١٧٤ صفحة بطباعة حسنة . وهو بما لا غنى عنه لكل من يعنى بالأبحاث العميقة في تاريخ العرب .

● - « بدر شاكر السياب »

أستاذنا العلامة الجليل الدكتور إحسان عباس من مفاخر الأمة العربية في عصرنا الحاضر ، بسعة اطلاعه وتنوع ثقافته ، وبضربه بسهم وافر في كل جانب من جوانب المعرفة قديماً وحديثاً ، لا نقول هذا لتعريفه ، فهو أجل من أن يجهل - ولكن ليدرك بعض قراء هذه اللمحة - ومنهم من هو محدود الثقافة - شيئاً مما يجب أن يعرفوه عن هذا العالم الجليل ، وكان آخر ما أتحف به الخزانة العربية هذه الدراسة الواسعة عن الشاعر العراقي « بدر شاكر السياب » ، دراسة في حياته وشعره . ومع أن هذا الشاعر لا يزال مجهولاً عند بعض القراء في بلادنا ، فإن هذا الكتاب يعتبر أوفى - إن لم يكن أرقى - ما كتب عنه ، فقد جاءت الدراسة في ٢٦٦ ، تناولت كل الجوانب الشعرية لهذا الشاعر ، فأصبحت أساساً قوياً لا عن دراسة الشاعر نفسه ، بل عن دراسة تطور الشعر العربي المعاصر بما يعتبره كل باحث مصدراً ثقافياً واسعاً في الثقافة الشعرية الحديثة .

● - مختارات من الأمثال العامية التونسية .

والغريب في أمر الأمثال أنها تشبه أن تكون متائلة أو متقاربة القائل في مختلف الأنطار العربية ، في شرق البلاد العربية وغربها ، مع اختلاف يسير في لهجات التعبير ، وبين يدي هذا الكتاب اللطيف الحجم الذي قام بتأليفه العالم الباحث التونسي الدكتور الطاهر الخميري ودعاه بذلك الاسم ، وطبع طباعة حسنة في تونس فجاء في ٣٣٧ صفحة فلولا تأثر القطر الحبيب التونسي في بعض كلمات دخيلة على العربية ، من جرأء التثاقه باناس غربيين عن العرب والعروبة ، لأصبحت تلك الأمثال على الصيغة التي كان يلفظها لعرب الأقبح في قلب جزيرة العرب في نجد ، ومع ذلك فإن الأفكار والآراء هي بدون تغيير .

● - « التراث الاسلامي في بيت المقدس »

أخوانا وصديقنا الشيخ طه الولي ذو عناية بالدراسات بما له صلة بالتراث الاسلامي في شمال البلاد العربية ، ورسائله التي دعاهها (التراث الاسلامي في بيت المقدس وفضائله الاسلامية) تدل على هذه العناية بهذه النواحي ، وهي خلاصة موجزة للأثار الاسلامية في بيت المقدس من مدارس وزاوا وتكايا وغيرها رجع إلى كثير من المؤلفات التي عنتت بهذه الناحية ، وجاءت هذه الرسالة في ثمانين صفحة بطباعة أنيقة فليزده الله ثواباً وتحقيقاً .

● - « زفرات »

ابننا الاستاذ عبد العزيز التويجيري مدير (دار العرب) في الرياض عمل في الصحافة زمناً ونشر مقالات كثيرة بمناسبة وغير مناسبة ، ولخص بما نشره حينما كان يتولى التحرير في جريدة « الرياض » مجموعة اختارها من مقالاته ودعاهها باسم « زفرات » وما هي سوى نبضات قلب ، وخطرات فكر ، لا ترتبط بزمان أو مكان ، جاءت في مائة صفحة تم عن وعي وإدراك وفهم ، وتتصل بموضوعات حية مما يختلج في نفوس كثير من القراء في بلادنا .

المفانيم المطايبه من معالم طابيه

تأليف: محمد الدين الفيروز آبادي (٧٣٩ - ٨١٧ هـ)

تحقيق محمد الجاسر

محمد الدين الفيروز آبادي صاحب «القاموس المحيط» وغيره من المؤلفات
أشهر من أن يُعرف .

وقد تنقل في الحجاز بين الطائف ومكة والمدينة قائلًا ، عنها ، مؤلفات
منها : (مسجع القرام إلى البلد الحرام) في تاريخ مكة المكرمة .

و « أحاسن الطائف » في محاسن الطائف ، و « فصل الدرة من
الحزرة في فضل قرية السلامة على الحبرة » - عن الطائف .

و « المفانيم المطايب » من معالم طابيه ، عن المدينة الشريفة .

وكتابه هذا يعتبر من أم المصادر في دراسة تاريخ المدينة القديم ، وفي
خططها ، وفي مساجدها وآثارها الاسلامية .

وتقوم دار اليمامة بنشر هذا الكتاب في أجزاء ، نولي تحقيق كل جزء
باحث أو عالم تختص بموضوعه .

كِتَابُ «الْمَنَاسِكِ» وَأَمَاكِنِ طَرَقِ الْحَجِّ وَمَعَالِمِ الْبَحْرِ يَمِينِ

[من أم المؤلفات الجغرافية القيمة]

تحقيق

حَمْدُ الْحَاسِي

أَبُو عَلِيٍّ الْهَجَرِيُّ و أَبْجَاهُ فِي تَجْدِيدِ الْمَوَاضِعِ

بقلم حمد الجاسر

- - عَلَّمَ من أعلام الجزيرة في القرنين الثالث والرابع تصدى لتدوين أدبها وثقافتها .
- - أكثر ١٣٥٠ موضعاً في الجزيرة العربية ومنها ما لم تذكره الكتب المعروفة .
- - هذا ما تجده في هذا الكتاب الذي يقع في ٤٥٠ صفحة بنطباع حسنة

الثمن { ١٠ عشرة ريالات (مجلد)
٨ ثمانية و (غلاف)

حسم ٢٥٪ للمشاركين في مجلة العرب

منشورات دار البعثة للنشر والترجمة والنشر

- ٧ -

بلاد العرب

تأليف

الحسن بن عبد الله الأصفهاني

تأليف
جمال الجاسر و الدكتور صالح العلي

منشورات دار البعثة للبحث والترجمة والنشر

- ٦ -

البرق اليماني في الفسحة العثمانية

(تأليف: اليماني في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار
غزوات "المجاهدين" والعثمانيين لذلك القطر)

تأليف

قُطب الدين محمد بن أحمد النُزَوي المكي
(٩١٢ - ١٠٩٠ هـ)

أشرف على طبعه
محمد الجاسر

منشورات دار الهامة

- 0 -

رحلة إلى بلاد نجد

PILGRIMAGE TO NEJD

بقلم

الليدي آن بلانت

LADY AN BLANT

ترجمة محمد أنعم غالب

٧ ريالات (للورق الأبيض الصقيل)
الشمع : () () ()
(العادي)

والكمية : تخفيض خاص

نَبْدَةُ تَارِيخِيَّةٍ عَنْ نَجْدٍ

أملاها

الأمير ضاري بن فهد الرشيد
(..... - ١٣٣١ هـ)

مع ملخص:

القول السديد

في أخبار إمارة آل رشيد

تأليف

إيمان بن صالح الدجيل

(١٣٩٠ - ١٣٦٤ هـ)

٥ ريال (لورق الأبيض السليل)
التمن : ٤ ريال (الماضي)

والكمية : تخفيض خاص

- 2 -

المحاث تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة

بقلم : محمد الجاسر

الشمع { ٥ رمالات (للورق الابيض الثقيل)
٤ " (" " " ") (المادي)

واللجنة : تخفيض خاص

مَدِينَةُ الرِّيَاضِ

عبد الطَّوَّار التَّارِيخ

بقلم: محمد الحجازي

ملحق به :

- ١ - مجموعة من الصور الأثرية للمدينة
- ٢ - خارطة كبيرة مقياس ٥٦ x ٤٨ سم

٦ ريال (الورق الأبيض الصغير)
الشن ٥ ريال (العادي)

والكمية : تخفيض خاص

منشورات دار البهامة

- ١ -

ناريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد

ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم

وبشارة بعض البلدان

(من ٧٠٠ هـ إلى ١٢٤٠ هـ)

تأليف

أبراهيم بن صالح بن عيسى

(١٧٧٠ - ١٢٤٢ هـ)

أشرف على طبعه

محمد الجاسر

٧ ريالات (الورق الأبيض الصقيل)
الشن ٦ ريالات (الورق العادي)

والكمية : مخطوطة نحاس

○ مجموع المؤلفات وناريخها

١ - مخطوطات قديمة لم يسبق نشرها .

٢ - مؤلفات حديثة .

(تقديم دار البامة بنشر مؤلفات حديثة ومخطوطات قديمة مما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها لتقدم للباحثين حلقات متصلة في هذه الموضوعات بما لم يسبق نشره ، وها هو بيان ما نشره من سلسلة مطبوعاتها ، أما التي لم تطبع بعد فستذكر تباعاً) .

قام بتحقيقها نخبة من
الباحثين والكتاب

بإشراف

محمد الجاسر

ملاحظات وأراء المستأجرة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية



١ هل أنت قصير القامة؟

يمكنك ان تزيد طولك من بوصة الى ٦ بوصات بطريقة المرونة

٢ هل انت نحيف؟

يمكنك زيادة وزنك ١٠ او ٢٠ رطلا او اكثر بطريقة صحية

٣ هل انت سمين؟

يمكنك انقاص وزنك والتمتع من الثمرات بزمنه

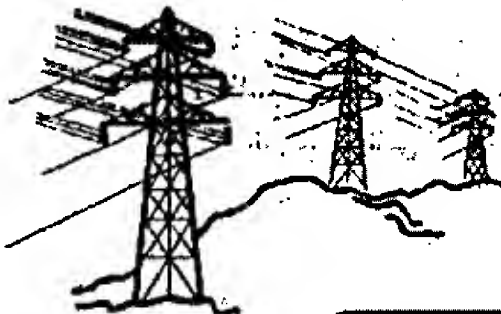
٤ هل تشكو تساقط الشعر؟

او الصلع او الشيب المبكر

عند العيب الذي تشكو منه وارتفع مع طلبك لا تهنأ وزياداً انجليزياً وارسله بالبريد المسجل باسم الطبيب القسوي لوجي (محمد خرداد من ب. ١٥١٣ بالقاهرة) يصلك العلاج فوراً ...

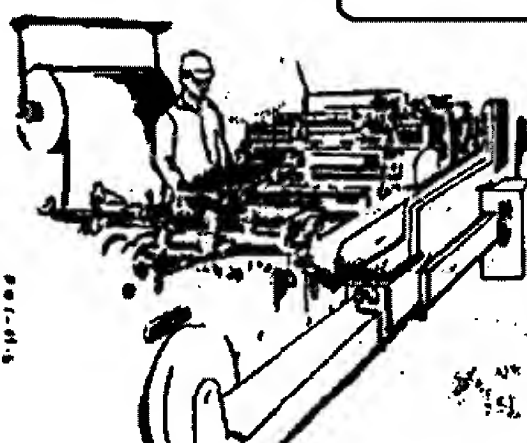
كل طلب غير مدفوع بالمبلغ المحدد يرسل رافضياً

لِقَاءُ الألفِ سَاعَةٍ



ما زالت أرامكو تشارك في دعم الاقتصاد في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وأبحاثه وذلك عن طريق شراء ما تحتاجه من مواد وخدمات محلية ، وتقديم المساعدات الفنية والاستشارية للمؤسسات السعودية الصناعية منها وتجارية والزراعية .

في العام الماضي (١٩٩٨) تبرع ما دفعته الشركة مقابل ما اشترته من بضائع وخدمات وما أنتجته المؤسسات التي ساعدتها أرامكو :
• بمليون ريال سعودي يومياً •



رئاسة الحرس الوطني

اعلن

تعلن رئاسة الحرس الوطني :

انه الحاناً للاعلان المنشور في عموم الصحف المحلية عن قرب افتتاح الدورة الثالثة للموسيقى بمدارس الحرس الوطني والذي حدد آخر موعد للقبول فيها ٣٠ / ٥ / ١٣٨٩ هـ .

فانه لاجل اتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن من شباب هذه البلاد العزيزة فانه لذلك قد تقرر تمديد القبول في هذه الدورة حتى نهاية دوام يوم الخميس الموافق ١٤ / ٧ / ١٣٨٩ هـ . فعلى الراغبين للالتحاق بهذه الدورة المبادرة بتقديم طلباتهم لقسم شؤون الطلبة بالمدارس الواقعة بأبجج على طريق الرياض في الدرعية وبفئس الشروط الواردة في الاعلان السابق مضمون باسم (آمر المدارس الفنية والمسكرية) . كما أن على الذين سبق ان تقدموا بطلباتهم ضرورة مراجعة المدارس يوم السبت الموافق ١٦ / ٧ / ١٣٨٩ هـ . وأي شخص يتأخر عن الحضور في هذا الموعد فسوف يستبعد طلبه ... وللعموم جرى نشره ...

دار الميقاتية

للبحث والترجمة والنشر

الرياض - الملكة العربية السعودية شارع الملك فيصل
على أم الاستعداد لطبع جميع المطبوعات التاريخية والأدبية
مع تصحيحها وإخراجها لإخراجها
بتكاليف مناسبة

من الطالب أو كفيه في حالة عدم وجوه الطالب، وهذا المبلغ نفقات الدراسة فقط منها كانت أقلية المدة التي مكثها بالمدرسة أو التدريب .

أ / للحرس الوطني حق فصل الطالب عندما يثبت عدم صلاحيته للدراسة، وفي هذه الحالة لا يطالب بإعادة النفقات التي صرفت عليه أثناء الدراسة .

٣ - أ / يقدم الحرس الوطني للطالب مدة دراسته في هذه الدورة مكافأة شهرية قدرها مائتان وخمسون ريالاً ٢٥٠ وتصرف له الملابس العسكرية ويؤمن له وسائل النقل من الحي الذي يسكنه بداخل مدينة الرياض إلى المدارس وكذلك العودة منها إلى مقر سكناه بعد انتهاء الزمن المحدد للدراسة يومياً إلا إذا رأى الحرس الوطني من الصالح العام إعادته بالمدارس فيؤمن له السكن العسكري فقط .

ب / يتقاضى الطالب بعد التخرج ما يلي :

٢٧٠ ريال راتباً شهرياً

٠٨٠ د شهرياً

٠٨٠ د علاوة فدائين شهرياً

١٢٠ د د لأملي

٥٥٠ المجموع خمسمائة وخمسون ريالاً لا غيره .

ج / يطلب من الراغبين إحضار كفيل غارم في حالة قبولهم بعد توفر الشروط الموضحة سابقاً .

د / على الراغبين الالتحاق بهذه الدورة تقديم طلباتهم لأمر المدارس الواقعة في أم الحمام بالرياض طريق الدرعية معنوقة (باسم صاحب السمو الملكي رئيس الحرس الوطني المعظم) مع إرفاق صورتين من حفيظة التفوس مصدقة من الجوازات وإحضار الأصل لمطابقتها لدى المدارس وثلاث صور شخصية وثلاث صور من الشهادة الابتدائية مع إحضار الأساس لمطابقتها وآخر موعد لقبول الطلبات ٣٠ / ٧ / ٨٩ هـ .

رئاسة الحرس الوطني

اعلان

عن دورة الاشارة السابعة بمدارس الحرس الوطني الفنية والعسكرية
تعلن رئاسة الحرس الوطني للشباب الطموح بشرى افتتاح دورة الاشارة
السابعة بالمدارس الفنية والعسكرية الحرس الوطني بالشروط التالية :

- ١ - أ / أن يكون الطالب سعودي الأصل والمنشأ .
ب / أن لا يقل سنه عن سبعة عشر عاماً ولا يزيد عن خمسة وعشرين عاماً .
ج / أن يكون الطالب لائقاً طبيّاً للخدمة العسكرية .
د / أن يكون الطالب من حملة الشهادة الابتدائية فما فوق .
هـ / أن يقدم الطالب اقراراً خطياً أنه لم يسبق ايقاع الحد الشرعي عليه
بالسجن أو الجلد في جريمة عامة أو مخلة بالشرف .

٢ - أ / مدة الدراسة في هذه الدورة من تسعة شهور إلى اثني عشر شهراً
يتخرج الطالب من هذه الدورة بالرتبة العسكرية (عريف إشارة) منسج بدل
صنف الإشارة حسب النظام .

ب / يتدرب الطالب لمدة أربعة أشهر تدريباً عسكرياً على المشاة وعلى
الأسلحة قبل بدء الدورة .

ج / يتعهد الطالب بالخدمة العسكرية في الحرس الوطني لمدة (خمس
سنوات بعد التخرج بنجاح) وللحرس حق فصله ولو لم يتم فترة الدراسة
المقررة في حالة عدم نجاحه في الاختبارات الأولية أو لأي سبب يراه الحرس
مخالفاً للأنظمة ، على أن يتعهد بخدمة الحرس في عموم الظروف وفي أي جهة
قد يعين بها في الحماة المملكة العربية السعودية .

د / يتعهد الطالب بإعادة جميع النفقات التي يبذلها الحرس في سبيل تعليمه
حتى رغب الانفصال على أن لا يقل المبلغ عن ستة آلاف ريال ٦٠٠٠ تستوفي